دلائل النبوة في غزوة الخندق

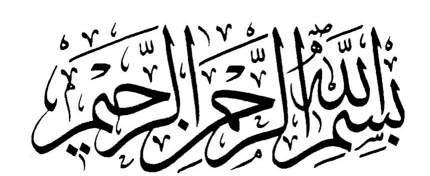
الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ

المدرسة المدنية
(٣١)

دلائل النبوة في غزوة الخندق

الأستاذ الدكتور
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزامي
أستاذ الحديث وعلومه، بجامعة طيبة
بالمدينة المنورة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزدنا علماً .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً ، فيسِّر لنا أمورنا ، واختم لنا بالسعادة ، إنك على كل شيء قدير ، أما بعد :

فقد طلب مني مديرُ **مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة** سلمه الله تعالى ووفقه للخير الاشتراكَ في ندوة (**التوثيق الميداني لغزوة الخندق**) كما طلب مني أن تكون كلمتي بعنوان (**دلائل النبوة في غزوة الخندق**) وقد تم ذلك ، ولله عز وجل الحمد والمنة والفضل ، حيث ألقيتها في الندوة الأولى ، بتاريخ (ليلة ٨ من ذي القعدة ، ١٤٢٧هـ).

ـ المقصود بدلائل النبوة :

لكن قبل الخوض في ذكر الدلائل التي أجراها الله عز وجل على يدي رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يومَ الخندق ؛ لابد من معرفة المقصود بدلائل النبوة .

إن المقصود بدلائل النبوة : هي المعجزات والخوارق التي يجريها الله عز شأنه على يدي رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، للدلالة

على صدقه في دعوى النبوة والرسالة ، ولا يمكن أن تقع منه صلى الله عليه وآله وسلم بصفته البشرية ، لأنه ليس للاجتهاد فيها مسرح ، ولا للعقل فيها مجال . إنما صدرت من مشكاة النبوة .

ـ فوائد دلائل النبوة :

ولدلائل النبوة ـ من معجزات وخوارق ـ التي يجريها الله تعالى على يد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بحضرة أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم : فوائد كثيرة يستفيدها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، منها : تثبيتهم في دينهم ، وزيادة إيمانهم ، ويقينهم ، وتيقنهم بصدق نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ودلالتهم على علو مكانته عند ربه عز وجل ، ورفعة منزلته صلى الله عليه وآله وسلم لديه جل شأنه ، والحرص على الإيمان به ، وزيادة محبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفانيهم في خدمته والدفاع عنه ،... إضافة إلى بيان مكانة هذه الأمة ، ورفعة منزلتها عند الله تعالى ،...مما يجعل المسؤولية على عاتقهم كبيرة ، في حمل هذا الدين ، وتمسكهم به وتبليغه ،...إلخ.

ولدلائل النبوة ضوابط للتفريق بينها وبين ما يصدر عن الإنسان من خوارق ، كالكرامة ، والإعانة ، والاستدراج ، والإهانة ،...

فالمعجزة : أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، يظهره الله تعالى على يد رسولٍ من رسله ، تصديقاً له في دعواه ، مع عدم تمكّن معارضته ، ويعلم بها الرسول التي جرت على يديه ، ويستطيع إظهارها في كل وقت . لذا كانت الدلائل أعم من المعجزات .

والإرهاصات : هي ما يجريها الله عز وجل من الخوارق على يد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة ، إشعاراً باقتراب بعثته .

والكرامة : هي ما يجريها الله عز وجل على يد وليٍّ من أوليائه ، المواظبين على طاعته ، والمجتنبين لمعصيته ،... غير مقرونة بالتحدّي ، ولا يستطيع إظهارها في كل وقت ، ولا تصل إلى قلب الحقائق[1].

والإعانة : هي ما يجريها الله تعالى من الخوارق على يد واحد من عوام المسلمين ، لحسن اعتقادهم ، وصدق إيمانهم ، تخليصاً لهم من محنة أو مكروه .

والاستدراج : ما تجري من الخوارق على يد العصاة من المسلمين ، حال إقامتهم على معصيتهم ، استدراجاً من الشيطان الرجيم .

والإهانة : ما تجري على يد الكفار من الخوارق ، على خلاف دعواهم ، تكذيباً لهم ، كما فعل الدجال مسيلمة الكذاب حينما بصق في البئر ليحاكي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلب الماء المالح إلى عذب فغار ماء البئر[2]. في أمثلة كثيرة .

ومن أوائل من تكلم في علامات النبوة ـ فيما أحسب ـ الإمامُ البخاري رحمه الله تعالى ، حيث عقد بابين في صحيحه ، هما (**علامات النبوة في الإسلام**) وَ (**بقية علامات النبوة في الإسلام**) ثم تلاه عدد من العلماء ، فأفردوها في كتب مستقلة ، كأبي داود وابن قتيبة وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ في آخرين

---

(١) انظر : جمع الجوامع (٢ : ٤٠٠).

(٢) انظر : جمع الجوامع (٢ : ٤١٦) وانظر ما كتبه الأخ الكريم الدكتور حسن هيتو في : المعجزة القرآنية (١٦ ـ ٢١).

رحمهم الله تعالى ، ومن أوسعها كتاب الحافظ أبي نعيم رحمه الله تعالى ـ لكن لم يصلنا ، إنما وصلنا مختصره ـ ثم الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى ، وكتابه من أنفع ما كُتب في ذلك ، ثم تلاهم آخرون .

ـ أقسام دلائل النبوة :

إن دلائل النبوة تنقسم إلى أقسام ؛ باعتبارات متعددة .

ـ فمنها ما ذكره القرآن الكريم ، ومنها ما لم يذكره ـ وهذا هو الغالب .

ـ ومنها ما يدل على صدق دعوى النبوة والرسالة ، ومنها ما يدل على أن ما يقوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس من بابة البشرية إنما هو وحي من الله تعالى .

ـ ومنها معجزات حسية ، ومنها المعنوية .

ـ ومنها خوارق فعليه ، ومنها قولية .

ـ ومنها ما يتعلق بالغيب ، سواء في الزمن البعيد ـ حتى يكون من بدء الخليقة ـ ومنها في الوقت الحاضر ، ومنها ما يتعلق بالزمن القادم ـ ولو كان نهاية الخليقة .

ـ ومنها ما يكون حسب الواقع ، ومنها ما يكون جواباً لسؤال ، فيكون طبق الواقع.

ـ ومنها ما تحقق وقوعه في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها ما تحقق وقوعه بعد زمانه ـ سواء بزمن قريب ـ في حياة أصحابه رضي الله تعالى عنهم ـ أو بعيد ـ ومنها ما لم يتحقق بعد .

ـ ومنها ما يكون إجابة لدعاء ، ومنها ما يكون تكثيراً للقليل ،...إلخ.

لذا يمكنني تلخيص أقسام دلائل النبوة إلى الأقسام التالية :

١ـ الدلائل الحسية السماوية ؛ كانشقاق القمر ، واستجابة الغيم لأمره صلى الله عليه وآله وسلم ،... ونحو ذلك .

٢ ـ الدلائل الحسية الأرضية ، وهذه نوعان :

أ ـ الدلائل المتعلقة بالجمادات ؛ كتكثير الماء ، وتكثير الطعام ـ وكل ذلك في مواطن كثيرة ـ وحنين الجذع ، ونبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم ، وتسبيح الحصى ، وانقياد الشجر له صلى الله عليه وآله وسلم ،... ونحو ذلك .

ب ـ الدلائل المتعلقة بالحيوانات ؛ كسجود الجمل له صلى الله عليه وآله وسلم ، وجمل جابر رضي الله تعالى عنه ، وشكوى الحيوانات له صلى الله عليه وآله وسلم ،... ونحو ذلك .

٣ ـ الدلائل في إجابة دعواته صلى الله عليه وآله وسلم ؛ كذهاب الحمى القاتلة عن المدينة يوم قدومه ، والمرأة السوداء التي تُصرع بألّا تتكشف ، ودعائه صلى الله عليه وآله وسلم لأبي هريرة بألّا ينسى ، ولعبد الله بن عباس بالفقه بالدين والتأويل ، ولسعد بن أبي وقاص بإجابة دعوته ،... ولكثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

٤ ـ الدلائل ببشارات الأنبياء عليهم السلام به صلى الله عليه وآله وسلم ، كإبراهيم وموسى وعيسى ،... عليهم السلام .

٥ ـ الدلائل بإخباره صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب ، وهذا أنواع :

أ ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بالغيوب الماضية :

ب ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بالغيوب الحاضرة في عصره ، فوقعت في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم ، أو في زمن أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

ج ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بالغيوب المستقبلة . سواء وقعت فيما بعد أم لا .

٦ـ الدلائل في إجابته صلى الله عليه وآله وسلم على المسائل التي سُئلها فكانت إجابته طبق الواقع .

٧ ـ الدلائل في إخباره صلى الله عليه وآله وسلم عما في نفوس مخاطِبيه قبل تكلمهم .

٨ ـ الدلائل النبوية في الإعجاز العلمي في الحديث النبوي .

ـ ما هي الدلائل التي حصلت في الخندق ؟

إن الذي حصل يوم الخندق من دلائل هو متنوع : منه ما ذكره القرآن الكريم ، ومنه ما يدخل في علم الغيب المستقبلي ، ومنه ما تحقق في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنه ما تحقق بعد زمانه لكن في زمن أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، ومنه ما كان تكثيراً للقليل ، ومنه ما كان إخباراً عن الواقع ، ومنه ما يدخل في الوعد ثم تحقق بعد فترة ، ومنه ما كان من إعانة من عالم آخر (الملائكة والريح) ومنه ما كان من خرق العوائد ،... وهكذا .

ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أكثر الأنبياء عليهم السلام معجزات :

لقد اتفقت كلمة العلماء على أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم

هو أكثر الأنبياء عليهم السلام معجزات ومكرمات وخوارق ، وقد تكلف بعض العلماء رحمهم الله تعالى إحصاءها ، لكنهم لم يصلوا إلى قعرها ، إذ منهم من أوصلها إلى ثلاثة آلاف معجزة ، كيف وحياته صلى الله عليه وآله وسلم كلها خوارق ، بدءاً من أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وآله وسلم حتى ما جرى عليه مما لا يصل إليه مخلوق .

ومن الآيات التي أجراها الله عز وجل على يدي رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لم يُعطَها نبيٌّ من الأنبياء عليهم السلام قبله ، وقد انفرد صلى الله عليه وآله وسلم بكثير من تلك المعجزات ، كما سيأتي .

والدلائل التي ظهرت في الخندق - شأنها شأن كثير من المواقف - كثيرة ، لكني سأقتصر على ذكر بعضها ، حسب الوقت المخصص للكلمة ، كما سأذكر في الابتداء بعض الحقائق العلمية تكون مدخلاً لنا إلى الموضوع ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

وصلى الله تعالى وسلّم على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله الطَّيّبين الطّاهرين ، وصحابته الكرام المبجّلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة / ٧ / من ذي القعدة ١٤٢٧ هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلّا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة



بعض الحقائق العلمية

❋ لقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يعطي كلَّ رسولٍ من رسله آيةً أو أكثر تكون دلالة على صدقه في دعواه النبوة ، وبرهاناً على صحة رسالته ، كما أوضحه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما مِن الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي مِن الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله إِلَيَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه(١).

❋ كما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يكون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أكثرَ الأنبياء عليهم السلام معجزات . بل ما من معجزة أُعطِيَها نبيٌّ من الأنبياء إلا وأعطي النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مثلَها ، أو أكبر منها . بل ما من معجزة أُعطِيها نبي من الأنبياء السابقين عليهم السلام إلا وأُعطي أحدُ أفراد هذه الأمة مثلَها أو ما يقابلها . كما أوضحتُ ذلك في (مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بين الأنبياء عليهم السلام).

❋ كما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تكون جميعُ تلك المعجزات

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى جميع الناس ، رقم (٢٣٩).

والخوارق آنيّةً وقتيّةً ، زال أثرها بعد موت من حضرها أو بعد موت الرسل الذين ظهرت على أيديهم ، ويشمل ذلك أغلب معجزات النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما كان من معجزته صلى الله عليه وآله وسلم الكبرى ؛ وهي الوحي ، فإنها الباقية مدى الدهر ، حتى تُرفع عند قيام الساعة .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ الذي مر ذكره قبل قليل ، والمتفق عليه ـ يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ...وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله إِلَيَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ».

* كما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تكون تلك المعجزات التي أجراها الله جلت قدرته على أيدي رسله عليهم السلام مُناسِبةً لما عليه حال وعقلية تلك الأقوام ، كما أنها تكون محدودةً بمظهر أو أكثر .

أما معجزاتُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنها ليست محصورةً في نوع أو صنف واحد ، بل هي مختلفةٌ متنوعةٌ ، شاملةٌ للعُلوي والسُّفلي ، والصامت والناطق ، والساكن والمتحرك ، والمائع والجامد ، والسابق واللاحق ، والمرئي والمخفي ، والغائب والحاضر ، والباطن والظاهر ، والعاجل والآجل ،...إلخ ، كما أوضحتُ ذلك في المجلد الثاني من (السنة النبوية وحي).

* كما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تكون دلائلُ نبوَّة رسول الله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم متنوعةً ، فمنها الحِسِّي ، ومنها المعنوي ، ومنها القديم الموغل في القدم ، ومنها المستقبلي الموغل في المستقبل ، ومنها

الحاضر المخفي ، ومنها الذي تحقق في زمانه ، ومنها ما تأخر بعد قرنه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أن منها ما يدل على صدق نبوته ورسالته صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها ما يدل على أن ما ينطق صلى الله عليه وآله وسلم به إنما هو وحي من الله تعالى ـ وليس من بابة البشرية ـ ومنها ما ذكره القرآن الكريم ، ومنها ما لم يذكره ، ويدخل في ذلك الإعجاز العلمي .

* كما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يكون لتلك الدلائل النبوية : فائدةٌ مهمةٌ ؛ هي تثبيت أفئدة أتباع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله تعالى عنهم ـ مع الفرق بين تلك الحالات ـ فإذا كان قلبُ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يتثبت بنزول القرآن الكريم عليه منجَّماً ، مع تكرار هبوط جبريل عليه السلام عليه ، كذلك رؤية الأتباع رضي الله تعالى عنهم لتلك الدلائل فيها تثبيت لقلوبهم رضي الله تعالى عنهم وأيما تثبيت .

* بل إن المعجزات التي يجريها الله سبحانه وتعالى على يدي رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تكون من عوامل تثبيته هو ؛ في إزالة الحزن والغم ، وتحمُّل الأذى ، والصبر على البلاء ، وتكفيه في الدلالة على عناية الله تعالى به .

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : جاء جبريل إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ يومٍ ، وهو جالس حزيناً ، قد خُضب بالدماء ، ضربه بعضُ أهل مكة .

قال : فقال له : مالَكَ ؟ قال : فقال له : « فعل بي هؤلاء وفعلوا » قال :

فقال له جبريل عليه السلام : أتحب أن أُريك آيةً ؟ قال : « نعم ».

قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي ، فقال : ادع بتلك الشجرة . فدعاها ، فجاءت تمشي ، حتى قامت بين يديه . فقال : مُرها فلترجع . فأمرها فرجعت إلى مكانها . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حسبي ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وابن ماجه وأبو يعلى والفاكهي والبيهقي والضياء بإسناد صحيح على شرط مسلم ، وصححه ابن كثير[1].

إذا كانت هذه الآية عاملَ تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، جعلته ينسى ـ أو يتناسى ـ حزنَه وهمَّه ، ويزداد صبراً على الإيذاء ، وتحمُّلاً لما يلاقيه من الكفار ؛ فكيف تكون لأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ، وهم يرون ألوفَ الآيات ، يجريها الله سبحانه وتعالى على يد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ؟

* لقد وضع الله تعالى في ذرات الكون ـ عُلويِّه وسفليِّه ، عاقله وغير عاقله ، مدركه وغير مدركه ، كبيره وصغيره ـ معرفةَ هذا النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا ما كان منها إلا أن تعظّمه وتحبّه وتطيعه .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سفر ، حتى دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار ، إذا فيه

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١١٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٨ ـ ١٧٩) وسنن الدارمي (٢٠ رقم ٢٣) وسنن ابن ماجه : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ، رقم (٤٠٢٨) ومسند أبي يعلى (٦ : ٣٥٨ ، ٣٥٨ ـ ٣٥٩) وأخبار مكة للفاكهي (٤ : ٢٨ ـ ٢٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ١٥٤) والمختارة (٦ : ٢١٤ ، ٢١٤ ـ ٢١٥) وانظر الشمائل لابن كثير (٢٣٩).

جملٌ لا يدخل الحائطَ أحدٌ إلا شدَّ عليه ،... الحديث بطوله في قصة سجود الجمل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي آخره : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **إنه ليس شيءٌ بين السماء والأرض إلا يعلمُ أني رسولُ الله ، إلا عاصي الجن والإنس** ». رواه ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي والطبراني وعبدُ بن حُميد والبزار ، وأبو نُعيم والبيهقي والتيمي - ثلاثتهم في دلائل النبوة - والضياء المقدسي من طرق ، عن جابر رضي الله تعالى عنه .

ورواه أحمد والطبراني والبيهقي وصححه - بلفظه - من حديث يعلى بن مرة رضي الله تعالى عنه ، ورجالُ أحمد رجالُ الصحيح .

ورواه الطبراني برجال ثقات - وفي بعضهم ضعف - وأبو نعيم والتيمي والبيهقي - كلهم في الدلائل - من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بنحوه .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى : هذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبةَ الظن أو القطع...اهـ[1]، والله تعالى أعلم . وانظر آخر البحث .

هذا جمل حيوان بهيم لا يعقل - في الظاهر - لما رأى رسول الله صلى الله

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣١٠) وسنن الدارمي (١ : ١٩رقم ١٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٣) ومسند عبد بن حُميد (٣٣٧ رقم١١٢٢) وكشف الأستار (٣ : ١٥٠ - ١٥١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١ -٤٩٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٢ - ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠) ودلائل النبوة للتيمي (١٢٩ ، ١٥٨ رقم ١٣٩ ، ١٨٣) وانظر : كنز العمال (١١ : ٤١٧) والشمائل لابن كثير (٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٢٧٠) ومجمع الزوائد (٩ : ٤ - ٧) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ٣٩٢) والمعجم الكبير (١٢ : ١٥٥) (٢٢ : ٢٦١ - ٢٦٢) والأحاديث الطوال (٣٠٦ - ٣٠٧ رقم ٥٤) وعلامات النبوة (١٢٥ - ١٢٦).

عليه وآله وسلم أقبل نحوه ، وخضع بين يديه ، ومدّ جرانه ساجداً بين يديه ؛ تعظيماً وتوقيراً واحتراماً .

لذا لما رأى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هذا الفعل من الجمل ، وطلبوا أن يكونوا هم الساجدين ، لأنهم العقلاء : أجابهم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الجواب ، في بيان منزلته عند الله عز وجل ، وعلو مقامه ، ورفعة قدره .

ثم نهاهم صلى الله عليه وآله وسلم عن السجود له ، مبيِّناً أن ذلك لا يصلح إلّا لله تعالى ، ولو جاز سجود التحية والتعظيم والتوقير لأحد من البشر ما جاز إلّا للمرأة أن تسجد لزوجها ، لعظم حقِّه عليها ،... وانظر شوق الجمادات ، ومحبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد ، فقد بينت أحوالَ السجود ، ومنعَها كلها في شرعنا .

ثم إن هذا السجود كان جائزاً في شرع من سبقنا ، ابتداء من أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، ومروراً بسجود يعقوب وبنيه ليوسف عليهم السلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[1]. وبقي هذا السجودُ موجوداً عند الأمم السابقة إلى زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، مما حدا بمعاذ رضي الله تعالى عنه أن يسجد للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، لما رأى أهلَ الشام يسجدون لأساقفتهم ولبطارقتهم .

ثم إن كلمة « شيء » التي وردت في الحديث تطلق على كلِّ موجود ؛

---

(١) سورة يوسف (١٠٠).

صغيراً كان أو كبيراً ، جامداً أو مائعاً ، ساكناً أو متحركاً ، عاقلاً أو غير عاقل ، مرئيّاً أو مخفيّاً ، علويّاً أو سفليّاً ،... أما ترى قول الله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(1).

فكل من يسبّح لله تعالى ـ من تلك المخلوقات ـ : هو يعلم أن هذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سوى فسقة الجن والإنس ، والعياذ بالله تعالى ، فهم يجحدون ذلك كفراً وعناداً .



(١) سورة الإسراء (٤٤).



دلائل النبوة في غزوة الخندق

إن الدلائل التي حصلت في غزوة الخندق كثيرة جداً تزيد على ثلاثين ، لكني سأقتصر على ذكر بعضها ، ومن غير شرح أو تطويل ، إنما سأشير إشارة لكل واحدة منها ، مع عزو كل معجزة لمن رواها من أئمة الحديث . لكن قبل بدء ذكر الدلائل أشير إلى ملخص لغزوة الخندق ، تكون بمثابة المدخل لنا إلى ما حصل فيها من دلائل ومنح وإكرامات .

*** ملخص غزوة الخندق :**

لقد ذكر علماء السير والمغازي[1] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أجلى يهودَ بني النضير من المدينة خرج سلّام بن أبي الحقيق وحُيَي بن أخطب ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من زعماء يهود ، إلى قريش وغطفان وبني سُلَيم ، ليحرضوهم على المجيء إلى المدينة ، ودعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، وقالوا لهم : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله ، ونقضي

(١) انظر أخبار غزوة الخندق : سيرة ابن هشام (٣ : ٢٥٨ وما بعد) وسبل الهدى والرشاد (٤ : ٥١٢ وما بعد) والمغازي للواقدي (٢ : ٤٤٠ وما بعد) وجوامع السيرة (١٨٥ وما بعد) وعيون الأثر (٢ : ٥٥ ـ ٧٨) والمغازي للزهري (٧٩ ـ ٨٣) والدرر في اختصار المغازي والسير (١٢١ ـ ١٣٤) وإمتاع الأسماع (١ : ٢١٥ وما بعد) وحدائق الأنوار (٢ : ٥٨٣ ـ ٥٩٣) وتاريخ الخميس (١ : ٤٧٩ وما بعد) بالإضافة إلى السيرة النبوية لابن كثير ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، وتاريخ الطبري ، وزاد المعاد .

على دينه ، واتفقوا معهم على عهد . مستغلين في ذلك عدم تَحقُّق أهداف غزوة أحد من قبل المشركين . وذلك لمقولة المشركين : (لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، فبئس ما صنعتم)[1].

فقدمت القبائل العربية تريد القضاء على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، واستباحة المدينة ، والقضاء على هذا الدين ، فخرجت قريش ـ ومن تبعها من الأحابيش ـ بقيادة أبي سفيان ، وغطفان بقيادة عُيينة بن حصن الفزاري ، وبنو مُرَّة بقيادة الحارث بن عوف ، وبنو أشجع بقيادة مسعر بن رخيلة ، وبنو سُليم بقيادة سفيان بن عبد شمس ، وبنو أسد بقيادة طُليحة بن خويلد الأسدي ، حتى وافى عددهم عشرة آلاف مقاتل ، وعلى الجميع أبو سفيان .

فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالوحي ـ خبر الأحزاب ، وما تجمّعوا له ، وما أجمعوا عليه ، فركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرساً ، ومعه عدة من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ، فارتاد موضعاً ينزله ، وجعل جبل سلع خلف ظهره ، وحدَّ موضعَ الخندق ، وهو من أُطم الشيخين ـ من طرف بني حارثة ، شرقي طريق سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه اليوم ـ حتى بلغ المذاد غربي جبل سلع من طرف الحرة الغربية . وأمر بحفر الخندق على المدينة ، ويقال : إن الذي أشار بحفره هو سلمان

---

(١) انظر : تفسير النسائي (١ : ٣٤٣ ـ ٣٤٥) والمعجم الكبير (١١ : ٢٤٧) ومجمع الزوائد (٦ : ١٢١) وفتح الباري (٨ : ٢٢٨) وتفسير ابن أبي حاتم (٣ : ٨١٦) والدر المنثور (٢ : ٣٨٥) وعزاه الشوكاني في فتح القدير (١ : ٤٠١) لابن ماجه .

الفارسي رضي الله تعالى عنه .

وحث صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على حفر الخندق ، وباشر الحفرَ ونقلَ التراب بيده الشريفة ، ومناولتَهم الحجر واللَّبِن لبناء جدران الخندق ، مما جعل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم يتسابقون على العمل ، حتى أحكموه بستة أيام ، مع البرد القارص ، والجوع الشديد .

فما أن انتهى المسلمون من حفر الخندق وقدم الأحزاب حتى فوجئوا بما لم يكونوا يتوقّعونه ، ولا تعرفه العرب من قبل .

وأذكر بعض ما ورد في هذه الغزوة من دلائل ، كانت من جملة عوامل تثبيت المسلمين ، والفَتِّ في عضد الكفار ، والله تعالى الموفق والمعين .

أولاً : فضح اليهود الذين كانوا سبب الغزوة :

لما قدم وفد يهود إلى مكة ، وأقنعوهم بالسير إلى المدينة لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واستئصال شأفة المسلمين ، قال كفار قريش : يا معشر يهود ؛ إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفدينُنا خيرٌ أم دين محمد ؟ قال اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق .

فأنزل الله تعالى في القرآن الكريم فاضحاً حال اليهود : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[1] .

---

(١) سورة النساء (٥١ ـ ٥٥).

فقد بيّن الله تعالى حالَ هؤلاء اليهود ؛ الذين حملهم الحسدُ للمسلمين على ما آتاهم الله تعالى من فضله ، في تفضيلهم المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، لذا استحقوا اللعن ، والخلود في نار جهنم تسعر بهم ، ولا يجدون لهم ناصراً يخرجهم منها ، لأنها ستكون مآلهم وسعيرهم ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بمسير جيش الأحزاب :

لما انفصلت الأحزاب [قريشٌ ومن معها] من بلادهم متوجهين إلى المدينة أَخبر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابَه الكرام رضي الله تعالى عنهم بخبر الأحزاب ، وما أجمعوا عليه .

ولا شك أن هذا وحي من الله سبحانه وتعالى ، أخبره الله تعالى ؛ الذي عصمه من الناس ، وبعثه بهذا الدين ليتم ويظهر على سائر الأرض ، ولأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى ، إنما يتَّبع ما يوحى إليه ، وإن لم يُخبر بذلك . خلافاً لما ذكره بعضُ من كتب في السيرة من المتأخرين .

وإليه الإشارة في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾(١) .

وهذا يعني ـ والله تعالى أعلم ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبرهم بمقدم الأحزاب ، فلما رأوهم قالوا هذا الذي وعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به ، وإضافة الوعد إلى الله تعالى باعتبار أنه تعالى هو الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك . ولي

(١) سورة الأحزاب (٢٢).

عود على ذلك في أواخر الرسالة ، إن شاء الله تعالى .

لذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد مشورته للصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ بحفر الخندق ، بعد أن حدد صلى الله عليه وآله وسلم موضعه ، وارتاد له موضعاً ينزله ، وجعل صلى الله عليه وآله وسلم جبلَ سلع خلف ظهره ، وانتهوا منه قبل وصول الأحزاب إلى المدينة . وقيل : إن الذي أشار بحفره هو سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه كما مر .

ثالثاً : حفر الخندق بمدة ستة أيام مع قلة الزاد والعتاد :

لقد حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين رضي الله تعالى عنهم على حفر الخندق ، وباشر الحفرَ بيده الشريفة ، كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يحمل الترابَ حتى اغبر بطنه الشريف ، ووارى شَعرَه ، وقد كان لمشاركة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لهم ، وعمله بيده الشريفة ـ سواء بالحفر ، أو نقل التراب حتى اغبرّ شعرُ صدره الشريف ، أو مناولته اللبنَ والحجارة لبناء جدار الخندق ـ من أهم العوامل المشجّعة للصحابة رضي الله تعالى عنهم وتفانيهم في العمل ـ كما جاء في الصحيحين وغيرهما ـ وقد ذكرت ذلك في فضائل المدينة المنورة ، فانظره .

ولهذا صاروا يقولون :

لئن قعدنا والنبيُّ يعملُ فذاك منّا العملُ المضلّل

وقد استمر المسلمون ـ من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ـ يعملون بأنفسهم ـ لأنه لم يكن لهم عبيد يعملون بدلاً عنهم[1] ـ في حفر

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة الأحزاب .

الخندق : ستة أيام ، حتى أحكموه ، كما ذكر ذلك ابن سعد ومن وافقه رحمهم الله تعالى .

ورجّح الإمام النووي رحمه الله تعالى خمسة عشر يوماً ، وقال آخرون : بأكثر .

ـ أقول : هذا كلُّه بعيد جداً ، لأن الجيش الذي يتوجه من مكة إلى المدينة ـ في ذلك الوقت ـ يكون مدة سفره ما بين العشرة واثني عشر يوماً ، وهذا ما حصل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما توجه إلى مكة في الفتح وفي حجة الوداع . بينما انتهى المسلمون من حفر الخندق ـ مع طوله ـ قبل مجيء الأحزاب بفترة ، لذا لما جاء الأحزاب فوجئوا بذلك .

ولا شك أن هذا سبق ، وأبعد من ذلك : ما ذكره بعض علماء السير من أن أربعة من خزاعة قدموا إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة في خلال أربعة أيام ، فهذا وإن كان فيه إعجازٌ آخر إلا أنه بعيد من حيث قَطْعُ تلك المسافة في مدة أربعة أيام ، اللهم إلا أن تُطوى لهم الأرض . وندخل في باب آخر .

إن انتهاء المسلمين في خلال ستة أيام من حفر الخندق مع طول المسافة ـ من غرب الحرة الشرقية إلى شرق الحرة الغربية ـ أقول إن حفر هذه المسافة الطويلة ـ وهي ما يقرب من ثلاثة آلاف متر أو تنقص قليلاً ـ مع العمق ـ الذي لا يستطيع الفارس إذا نزل أن يصعد منه ، أو الرجل أن يصعد منه ـ والعرض ـ بحيث إن الفرس المدرَّبة لا تستطيع أن تتجاوزه ، اللهم إلا ما حصل لبعض المُهُر النادرة من قطعه ـ وكل ذلك في خلال ستة أيام ـ مع قلة الأدوات ، إنما

هي المساحي والفؤوس والمكاتل ـ : لا شك أن هذا في ميزان ذلك الوقت يعتبر أمراً خارقاً جدّاً . والعبرة إنما هي بقدرات ذلك الزمن ، لا بقدرات زماننا .

فنحن الآن ـ مع وجود المعدات الثقيلة والعلوم المتطورة ـ يصعب جداً أن نحفر تلك المسافة وبالعمق والعرض ، بخلال ستة أيام أو عشرة . وهنا تكمن المعجزة ، لأن الله سبحانه وتعالى هو المؤيد والمعين ، لكن على المسلم الاستحضار ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]. وأن الله سبحانه وتعالى هو المتصرّف في الكون ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

رابعاً : أكل ألف رجل من شاة جابر رضي الله تعالى عنه وصاع شعير :

لقد أصاب المسلمين أثناء الحفر جوعٌ وبردٌ شديدين ، وقد مر عليهم ثلاثة أيام لا يذوقون مذاقاً ، لأنهم مشغولون بحفر الخندق وإنجازه قبل وصول الكفار المتحَزِّبين ، مما اضطر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم أن يربطوا على بطونهم الحجر ؛ من شدة الجوع ، وليشدوا ظهورهم ، حتى يتمكنوا من متابعة العمل ، ويخفِّفوا من ألم الجوع ، ولكن الله تعالى الذي أكرم تلك العصابة ـ بما لم يعطه أحداً من أتباع نبي من أنبيائه الكرام عليهم السلام ـ ما كان ليضيِّع هؤلاء الكرام ، لذا جاءتهم العناية الإلهية مرة أخرى ، عن طريق الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما .

لما رأى جابرٌ رضي الله تعالى عنه ما حل بالنبي الكريم صلى الله عليه

(١) سورة الأنفال (١٧).

(٢) سورة يس (٨٢).

وآله وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم من الجوع والبرد ، استأذن النبيَّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالذهاب إلى أهله ، فأذن له ، ولندع جابراً رضي الله تعالى عنه يحدِّث بما حصل .

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : لما حُفر الخندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم خَمَصاً شديداً ، فانكفيت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَمَصاً شديداً . فأخرجتْ إلي جراباً فيه صاعٌ من شعير ، ولنا بُهَيمةٌ داجنٌ ، فذبحتُها ، وطحنَتِ الشعيرَ ، ففرغتْ إلى فراغي ، وقطعتُها في بُرمتها ، ثم ولَّيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقالت : لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمن معه . فجئتُه فساررتُه ، فقلت : يا رسول الله ؛ ذبحنا بُهَيمةً لنا ، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفرٌ معك .

فصاح النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أهل الخندق ؛ إن جابراً قد صنع سُوراً ، فحيَّ هَلا بكم » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تُنزلُنَّ بُرْمَتكم ، ولا تَخبزُنَّ عجينكم حتى أجيءَ » .

فجئتُ ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناسَ ، حتى جئتُ امرأتي ، فقالت : بك وبك . فقلت : قد فعلتُ الذي قلتِ .

فأخرجتُ له عجيناً ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادعُ خابزةً فلتخبزْ معك ، واقدحي من برمتِكم ولا تُنزلوها ـ

وهم ألف - فأُقسم بالله ، لقد أكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا ، وإنّ برمتَنا لتغط كما هي ، وإنّ عجينَنا ليخبز كما هو . متفق عليه[1]. وللحديث روايات أخرى ذكرتها في فضائل المدينة المنورة ، وفي غيره . أقتصر على ذكر رواية واحدة منها .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قلت لامرأتي : رأيتُ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ما كان في ذلك صبر ، فعندكِ شيءٌ ؟ فقالت : عندي شعيرٌ وعَناق . فذبحتُ العناقَ ، وطحَنَتِ الشعيرَ ، حتى جعلنا اللحمَ بالبرمة ، ثم جئتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والعجينُ قد انكسر ، والبُرمةُ بين الأثافي ، قد كادت أن تنضج .

فقلت : طُعَيمٌ لي ، فقم أنت - يا رسول الله - ورجلٌ أو رجلان . قال : « كم هو ؟ » فذكرتُ له . فقال : « كثيرٌ ، طَيِّبٌ » قال : « قل لها : لا تنزع البُرمةَ ولا الخبزَ من التنّور حتى آتي » فقال : « قوموا ».

فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحكِ ، جاء النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم .

قالت : هل سألكَ ؟ قلت : نعم [زاد الدارمي والبيهقي : فقالت : الله ورسولُه أعلم ، قد أخبرناه بما عندنا ، فكشفت عني غمّاً شديداً].

فقال : « ادخلوا ، ولا تضاغطوا » فجعل يكسر الخبزَ ، ويجعل عليه اللحمَ ، ويُخمِّرُ البرمةَ والتَّنّور إذا أُخذ منه ، ويقرِّب إلى أصحابه ، ثم ينزع .

فلم يزل يكسر الخبزَ ، ويغرفُ ، حتى شبعوا ، وبقي بقيَّةٌ .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ،... رقم (١٤١).

قال : « كُلي هذا ، وأهدي ، فإن الناسَ أصابتهم مجاعة ». رواه البخاري[1].

لقد حلَّت البركة في كلٍّ من العجين وفي اللحم بعد بصقه صلى الله عليه وآله وسلم فيهما ، وبمباشرته بنفسه ، حيث صار يثرد الخبزَ ويسكب فوقه اللحم . لذا زاد الأكل ، وبقي اللحمُ والعجين ، كما هو ، لذا أمرهم صلى الله عليه وآله وسلم أن يطعموا الجيران ، لأن الناس أصابتهم مخمصة شديدة ، بعد أن أكل منه ألفُ رجل بل أكثر ، لقول جابر رضي الله تعالى عنه في الرواية الأخيرة : (جاء النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم) وهم أكثر من ألف ، كما هو معلوم ، والله تعالى أعلم .

خامساً : كف شعير يكفي القوم :

إذا كان في حديث جابر رضي الله تعالى عنه كان الطعام صاعَ شعير وجَدْياً صغيراً ، فقد وقع لهم ما هو أغرب منه . ذلك أنهم كانوا يُؤتَوْن بملْء كفٍّ من شعير ، فيُطبخ ويوضع عليه دهنٌ قديمٌ متغيِّرُ الطعم ، متغيِّرُ اللَّون ، متغيِّر الرائحة ، ويكفيهم كلَّهم ، ولله الحمد والمنة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون الترابَ على متونهم ، وهم يقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً ‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏ على الإسلام ما بقينا أبداً

قال : يقول النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يجيبهم ـ :

« اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة ‏‏‏‏‏‏‏‏ فبارك في الأنصار والمهاجرة »

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . ودلائل النبوة (٣ : ٤١٦) وفتح الباري (٧ : ٣٩٨).

قال : يُؤتَوْن بملء كفي من الشعير ، فيصنع لهم بإهالة سَنِخَةٍ ، توضع بين يدي القوم ، والقومُ جياع ، وهي بشعةٌ في الحلق ، ولها ريحٌ منتن . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1] .

لقد شملتهم العناية الإلهية مرة أخرى ، وإلا كيف يكفي هذا العدد الكبير كفٌّ من شعير ، يؤدّم بدهن قديم ، ولا يستساغ أكله ، حيث ينشب في الحلق ، مع وجود الريح النتنة لِقِدم الدهن ؟ .

سادساً : حفنة من تمر بنت رواحة يكفي القوم :

ومن دلائل النبوة التي ظهرت يومَ الخندق أيضاً : أن أرسلت عمرةُ بنتُ رواحة إلى زوجها بشير بن سعد وأخيها عبدِ الله بنِ رواحة رضي الله تعالى عنهم بكفٍّ تمر مع ابنتها بنت بَشير ـ طفلة صغيرة ـ فبينا هي تبحث عنهما ، رآها النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فدعاها ، وسألها ما معها ؟ فأخبرته الخبر .

فعن سعيد بن مينا ، عن ابنة بشير بن سعد ـ أخت النعمان بن بشير ـ قالت : دعتني أمي عمرةُ بنتُ رواحة ، فأعطتني حفنةً من تمرٍ في ثوبي ، ثم قالت : أي بُنَيَّة ؛ اذهبي إلى أبيك وخالِك عبد الله بن رواحة بغدائهما .

قالت : فأخذتها ، فانطلقتُ بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنا ألتمس أبي وخالي . فقال : « تعالي يا بُنيَّة ؛ ما هذا معك ؟ » قالت : فقلت : يا رسول الله ؛ هذا تمرٌ ، بعثتني به أمي إلى أبي ـ بشير بن سعد ـ

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة الأحزاب ، رقم (١٢٩ ـ ١٣١).

وخالي ـ عبدِ الله بن رواحة ـ يتغديانه . فقال : « هاتيه » قالت : فصببتُه في كفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى الغداء ».

فاجتمع أهلُ الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهلُ الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب . رواه ابن إسحاق وأبو نُعَيْم والبيهقي بإسناد صحيح[1].

تمر قليل لا يملأ الكفين ؛ كفى أهلَ الخندق كلهم ! نعم هو فضل الله تعالى ورحمته يؤتيه من يشاء ، ولا أكرم على الله تعالى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم من بعده .

سابعاً : خبر الذراع :

ومن الدلائل التي ظهرت يوم الخندق : طلبه صلى الله عليه وآله وسلم من مولاه أبي رافع رضي الله تعالى عنه أن يناوله الذراعَ من الشاة المصلية ، ثم تكرر طلبُه صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه لو سكت لأعطاه أذرعة ما طلبها .

فعن سلمى ـ امرأة أبي رافع رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى أبي رافع بشاة ، وذلك يوم الخندق فيما أعلم ، فصَلَاها أبو رافع ، وجعلها في مكتل ، ثم انطلق بها ـ فلقيه النبيُّ صلى الله

---

(١) سيرة ابن هشام (٣ : ٢٦٠) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٦٣٩ ـ ٦٤٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٣ : ٤٢٧) وأسد الغابة (٦ : ٤١٤).

عليه وآله وسلم راجعاً من الخندق ، فقال : « يا أبا رافع ؛ ناولني الذراع » فناولتُه . ثم قال : « يا أبا رافع ؛ ناولني الذراعَ » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ؛ ناولني الذراع » فقال : يا رسول الله ؛ هل للشاة إلّا ذراعان ؟ فقال : « لو سكتَّ لناولتني ما سألتُك ». رواه الطبراني وأبو يعلى برجال ثقات[1].

وعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق بشاة في مكتل ، فقال : « يا أبا رافع ؛ ناولني الذراعَ » فناولته الذراعَ ، فقال : « يا أبا رافع ؛ ناولني الذراعَ » فناولته ، ثم قال : « يا أبا رافع ؛ ناولني الذراعَ » فقلت : يا رسول الله ؛ هل للشاة إلّا ذراعان ؟

فقال : « لو سكتَّ ساعةً ناولتني ما سألتُك ». رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى بإسناد حسن[2]. وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، لكن من غير تقييدٍ بيوم الخندق ، وقد ذكرتُ رواياتهم في (محبة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد) فانظره .

قلت : وليس ذلك بعاجز على القدرة الإلهية ، فالذي يُنبع الماءَ من بين أصابع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو قادر على إيجاد أذرعة في الشاة ، إكراماً لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

ثامناً : أقراص خبز تكفي ثمانين رجلاً :

ومن دلائل النبوة التي ظهرت يوم الخندق : أن أقراصاً من خبز لأبي

(١) المعجم الكبير (٢٤ : ٣٠٠ ـ ٣٠١) ومجمع الزوائد (٨ : ٣١١) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ١٣٨) قلت : لم أجده في المطبوع من سنن أبي يعلى ، فلعله في الكبير ، والله تعالى أعلم .

(٢) إتحاف الخيرة المهرة (٩ : ١٣١) والشمائل لابن كثير (٢٣٥) وعزاه لأبي يعلى ، لكن وقع عنده سقط في السند .

طلحة رضي الله تعالى عنه كفت نحواً من ثمانين رجلاً . ولهذا نظائر كثيرة حصلت معه صلى الله عليه وآله وسلم في الحضر والسفر ، وقد بلغت مبلغ التواتر . وهي كفاية القليل من الطعام للكثير من الرجال .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال أبو طلحة لأم سُليم ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضعيفاً ، أعرف فيه الجوعَ ، فهل عندكِ من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجَت خماراً لها فلفَّت الخبزَ ببعضه ، ثم دسَّته تحت يدي ، ولاثَتْني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : فذهبتُ به ، **فوجدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ، ومعه الناس** . فقمتُ عليهم . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « آرسلك أبو طلحة ؟ » فقلتُ : نعم . قال : « بطعامٍ ؟ » قلت : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن معه : « قوموا » .

فانطلق ، وانطلقتُ بين أيديهم ، حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرتُه .

فقال أبو طلحة : يا أمَّ سُلَيم ؛ قد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسولُه أعلم .

فانطلق أبو طلحة حتى لقيَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم . فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو طلحة معه .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هلمّي يا أم سُليم ما عندكِ » فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ففُتَّ ،

وعصرَت أمُّ سُليم عُكّةً فأدمتْه . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ما شاء الله أن يقول .

ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذِن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا . ثم قال : « ائذن لعشرة » فإذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأكل القومُ كلُّهم حتى شبعوا . والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً . متفق عليه[1].

جاء في رواية لمسلم : فمسّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعا فيها بالبركة ،...

وفي رواية ثانية عنده : حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً ، ثم أكل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك وأهلُ البيت ، وتركوا سُؤراً .

وهذه الحادثة وقعت أثناء غزوة الخندق . ولهذا أخرج البيهقي وغيره رحمهم الله تعالى هذا الحديث فيما جرى يوم الخندق .

وليس المراد بالمسجد : المسجد النبوي الشريف ، كما يتبادر إلى الذهن ، إنما هو المسجد الذي أعده صلى الله عليه وآله وسلم في منطقة الخندق .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2] : المراد بالمسجد : الموضع الذي أعدّه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ،... رقم (١٤٢ ـ ١٤٣).

(٢) فتح الباري (٩ : ٥٨٨).

في غزوة الخندق.اهـ، والله تعالى أعلم .

وفي باب الطعام عدّة قضايا غير ما ذكرت، اقتصرت على ما ذكرت .

تاسعاً : خبر الكُدية التي عادت كثيباً مهيلاً بضربة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

ومن الدلائل التي ظهرت أثناء حفر الخندق : أن عرضت للصحابة رضي الله تعالى عنهم كُديةٌ شديدةٌ [أي صخرة كبيرة قاسية] لا تأخذ بها المعاول ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذ المعول من يد أحدهم وضربها فعادت كثيباً أَهْيَل أو قال أَهْيَم .

فعن أيمن المخزومي رحمه الله تعالى قال : أتيت جابراً رضي الله تعالى عنه فقال : إنّا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كُديةٌ شديدةٌ ، فجاءوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : هذه كُدْيَة عرضت في الخندق ، فقال : « أنا نازل » ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر ، ولبثنا ثلاثةَ أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم المعولَ ، فضرب في الكدية ، فعاد كثيباً أهيل - أو أهيم - ... الحديث بطوله ، رواه البخاري[1] .

لم يذق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طعاماً ثلاثة أيام ، وعصب على بطنه الشريفة حجراً ، وصخرةٌ صلبةٌ قاسيةٌ لم تأخذ بها المعاول ، ومع هذا فقد ضربها صلى الله عليه وآله وسلم ضربةً واحدة عادت على إثرها رملاً متفتتاً .

ثم قارن بين تلك الضربة من يده الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق .

وبين تفجير الصخور والجبال بوضع المتفجّرات في زماننا ، إن الصخور لا تعود بعد ثورة المتفجرات رملاً ، إنما تتصدّع لا غير ، ليسهل نقلها ، وقد تبقى على شكل قطع كبيرة . بينما تلك الصخرة صارت رملاً ناعماً متفتّتاً ، بضربته صلى الله عليه وآله وسلم .

إنها العناية الإلهية ، الدّالَّة على مكانة هذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عنده عز وجل ، وعنايته تعالى به ، والله تعالى أعلم .

عاشراً : صخرة سلمان رضي الله تعالى عنه التي تكسرت بضربته صلى الله عليه وآله وسلم :

ومن الدلائل التي ظهرت يوم حفر الخندق : ما عُرف بصخرة سلمان رضي الله تعالى عنه التي لا تأخذ بها المعاول ، فشكوا ذلك إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فتناول المعول من يد أحدهم ، فضربها عليه وآله الصلاة والسلام ثلاثَ ضربات فتكسرت تلك الصخرة ، مع أن المعاول لم تؤثّر بها .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : احتفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندقَ ، وأصحابُه قد شدّوا الحجارةَ على بطونهم من الجوع ،... الحديث بطوله ، وذكر نحو حديث جابر رضي الله تعالى عنه الذي مر في قصة الشاة ـ ثم تمشّوا إلى الخندق ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «اذهبوا بنا إلى سلمان» فإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : « دعوني فأكون أولَ من ضربها » فقال : « بسم الله » فضربها فوقعت فلقة ؛ ثلثُها . فقال : « الله أكبر ، قصور الروم

ورب الكعبة » ثم ضرب بأخرى ، فوقعت فلقةٌ ، فقال : « الله أكبر ، قصور فارسَ ورب الكعبة » فقال عندها المنافقون : نحن نُخَنْدِق على أنفسنا وهو يعدنا قصورَ فارس والروم ؟ رواه الطبراني في المعجم الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العبدي ، وهما ثقتان[1].

لقد تحقق ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم بعد سنوات قليلة ، حيث بدأ فتحُ بلاد الشام والعراق في زمن الصديق ، وتم فتحهما في زمن الفاروق رضي الله تعالى عنهما ، رغم أنف المنافقين الذين أرجفوا وثبّطوا وشكّكوا .

كما أن هذه الصخرة التي عجزت عنها المعاول تفتتت بثلاث ضربات منه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل هذا ليس بمقدور البشر وفي مثل حاله من الجوع عادة ، ويظهر أن الصخرة كبيرة ، لأنها لو كانت صغيرةً لتعاونوا على إخراجها من الخندق ، ومع هذا فقد تفتّتت بثلاث ضربات منه صلى الله عليه وآله وسلم ، فما حال هذه الضربات ؟ والله تعالى أعلم .

الحادي عشر : تفتت صخرة أخرى عجزت عنها المعاول :

وهذه صخرة ثالثة لا تأخذ بها المعاول ، بل تكسّرت المعاول بها ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعول فضربها فقلعها .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : أَمَرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بحفر الخندق . قال : وعرض لنا صخرةٌ في مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المعاول . قال : فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم هبط إلى الصخرة ،

---

(١) المعجم الكبير (١١ : ٣٧٦ـ٣٧٧) ومجمع الزوائد (٦ : ١٣٢).

فأخذ المعول فقال : « بسم الله » فضرب ضربةً فكسر ثلثَ الحجر ، وقال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيح الشام ، والله ، إني لأُبصر قصورَها الحمرَ من مكاني هذا » ثم قال : « بسم الله » وضرب ضربةً أخرى ، فكسر ثلثَ الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيح فارس ، والله ، إني لأبصر المدائنَ ، وأُبصر قصرَها الأبيضَ من مكاني هذا » ثم قال : « بسم الله » وضرب ضربةً أخرى ، فقلع بقيةَ الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن ، والله ، إني لأبصر أبوابَ صنعاء من مكاني هذا ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وأبو يعلى ، وأبو نعيم والبيهقي ، وحسنه الحافظ(1).

ورواه الطبراني بنحوه من حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

ورواه البيهقي بنحوه من حديث عَمْرو بن عوف رضي الله تعالى عنه .

ورواه النسائي عن رجل من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله تعالى عنه مطولاً . وروى أبو داود بعضَه ، وحسنه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى(2). وسأذكر لفظه إن شاء الله تعالى في الفقرة التالية .

وقد جاء في بعض تلك الروايات زيادة ـ من حديث سلمان وعَمرو بن عوف رضي الله تعالى عنهما ـ : فضرب به ضربةً لمعت تحت المعول برقةٌ ،

(1) مسند أحمد (٤ : ٣٠٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٤٢١) والسنن الكبرى (٥ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠) وتحفة الأشراف (٢ : ٦٥) ومسند أبي يعلى (٣ : ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وتاريخ بغداد (١ : ١٣١ ـ ١٣٢) ودلائل النبوة لأبي نعيم (رقم ٤٣٠) وللبيهقي (٣ : ٤٢١) ومجمع الزوائد (٦ : ١٣٠ ـ ١٣١) وفتح الباري (٧ : ٣٩٧).

(2) انظر فضائل المدينة المنورة (٣ : ١٤٠ وما بعد) فقد ذكرت روايات الحديث وطرقه .

قال : ثم ضرب به ضربةً أخرى ، فلمعت تحته برقةٌ أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثةَ ، فلمعت تحته برقةٌ أخرى .

قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؛ ما هذا الذي رأيتُ لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : « أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قال : نعم .

قال : « أما الأولى ، فإن الله فتح عليَّ به اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق ».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنه كان يقول حين فُتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وما بعده ـ : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينةٍ ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة ؛ إلّا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيحَها قبل ذلك[1] .

فهذه حوادث مختلفة ، يمكن أن تعود إلى صخرة ، ويمكن أن يكون الأمر متكرراً ، ولا مانع من ذلك ، لأن منشأ الحديث مختلف ، كما وأن بين تلك الروايات اختلاف ، مما يدل على تعدد الحادثة ، خمس أو ست مرات ، ويحتمل الاختلاف من الرواة ، وأنها صخرة أو أكثر ، والله تعالى أعلم .

الثاني عشر : رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم قصور الشام والمدائن واليمن والحبشة من مكانه :

ومن الدلائل التي ظهرت عند حفر الخندق : رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم قصورَ الشام الحمر ، وقصر المدائن الأبيض ، وأبوابَ صنعاء ، عند

---

(١) سيرة ابن هشام (٣ : ٢٦١) وتاريخ الطبري (٢ : ٥٧٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٣ : ٤١٨).

ضربه الصخرات .

ففي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ السابق ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : فضربها فوقعت فلقة ؛ ثلثها . فقال : « الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة » ثم ضرب بأخرى ، فوقعت فلقةٌ ، فقال : « الله أكبر ، قصور فارس ورب الكعبة »... الحديث بطوله ، رواه الطبراني في المعجم الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العبدي ، وهما ثقتان .

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعول فقال : « بسم الله » فضرب ضربةً فكسر ثلثَ الحجر ، وقال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيح الشام ، والله ، إني لأبصر قصورَها الحمرَ من مكاني هذا » ثم قال : « بسم الله » وضرب ضربةً أخرى ، فكسر ثلثَ الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيح فارس ، والله ، إني لأبصر المدائنَ ، وأُبصر قصرَها الأبيضَ من مكاني هذا » ثم قال : « بسم الله » وضرب ضربةً أخرى ، فقلع بقيةَ الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن ، والله ، إني لأبصر أبوابَ صنعاء من مكاني هذا ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وأبو يعلى ، وأبو نعيم والبيهقي ، وحسنه الحافظ . وبنحوه عند من عزوتُ لهم .

وعن أبي سُكينة ـ رجلٍ من المحرَّرين ـ عن رجل من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما أمَر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بحفر الخندق ؛ عرَضت لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحفر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذ المعولَ ، ووضع رداءَه ناحيةَ الخندق ، وقال : «﴿ وَتَمَّتْ

كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(١)» فندر ثلث الحَجَر ، وسلمانُ الفارسيُّ قائمٌ ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برقةٌ . ثم ضرب الثانيةَ وقال : «﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾» فندر الثلث الآخرُ ، فبرقت برقةٌ فرآها سلمان . ثم ضرب الثالثةَ وقال : «﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾» فندر الثلث الباقي . وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذ رداءَه وجلس .

قال سلمان : يا رسول الله ؛ رأيتُك حين ضربتَ ، ما تضربُ ضربةً إلّا كانت معها برقةٌ . قال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا سلمان ؛ رأيتَ ذلك ؟ » فقال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله .

قال : « فإني حين ضربتُ الضربةَ الأولى ؛ رُفِعت لي مدائنُ كسرى وما حولها ، ومدائنُ كثيرةٌ ، حتى رأيتها بعَيْنَيَّ» ـ قال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ؛ ادع الله أن يفتَحَها علينا ، ويُغَنِّمنا ديارَهم ، ويُخَرِّبَ بأيدينا بلادَهم. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ـ « ثم ضربتُ الضربةَ الثانيةَ ؛ فرُفعَت لي مدائنُ قيصرَ وما حولها ، حتى رأيتُها بعَيْنَيَّ » ـ قالوا : يا رسول الله ؛ ادع الله أن يفتَحَها علينا ، ويُغَنِّمَنا ديارَهم ، ويُخَرِّبَ بأيدينا بلادَهم . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ـ « ثم ضربتُ الثالثةَ ؛ فرُفعت لي مدائنُ الحبشة وما حولها من القرى ، حتى رأيتُها بعينَيَّ ». قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك : « دعوا الحبشةَ ما ودّعوكم ، واتركوا التركَ ما تركوكم ». رواه النسائي ـ وهذا لفظه ـ وروى

(١) سورة الأنعام (١١٥).

أبو داود والبيهقي آخرَ الحديث ، وقد رووه بإسناد حسن ، ولآخره شواهدُ كثيرة ، ذكرتُها في مختصر أشراط الساعة[1].

وأبو سُكينة مختلف في صحبته .

وقوله : من المحرَّرين : إما من الإعتاق ، وإما محرَّر من النار فلا يدخلها ، والله تعالى أعلم .

ـ إن هذه رؤية عين عن حقيقة ، حصلت معه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما حصل نظراؤها من قبل ومن بعد . كما في رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم بيت المقدس وهو في مكة ، ورؤيته الحوض وهو في المدينة على المنبر ، وغيرهما كثير .

ـ ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت تلك البلاد ، ولم يزرها من قبل ، ومع هذا فقد عرف ألوان تلك القصور ، وأسوار تلك البلاد ؟ فمن أخبره بذلك ؟ إنه الوحي لا غير .

ـ ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم يتحدّث عن أمر غيبيٍّ مستقبليٍّ ، بصيغة الماضي ، ليحقّق الواقع ، وهو ما سأذكره في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

ـ ثم كم أحدثت تلك الدلائل من تثبيتٍ في نفوس الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ وإن كانوا لا يحتاجون إلى مزيد ، لأن إيمانهم بلغ الغاية ـ خاصة الذين عايشوه عن قرب ، ورأوا الأعدادَ الهائلة من الدلائل التي أجراها الله

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الملاحم : باب النهي عن تهييج الترك والحبشة ، رقم (٤٣٠٢) وسنن النسائي : كتاب الجهاد : باب غزوة الترك والحبشة (٦ : ٤٣ ـ ٤٤) والسنن الكبرى له (٣ : ٢٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ١٧٦) وانظر مختصر أشراط الساعة (١٠٨).

تعالى على يديه صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحقّق ذلك كله ، وقد بلوا صدق نبيِّهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه لا ينطق عن الهوى . لذا ازداد يقينهم وإيمانهم وتمسُّكهم ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾[1] .

لكن لابد من التمحيص ، ولعل خشيتهم كانت مِن تخلُّف الشرط ، فلا يقع المشروط ، كما حصل يوم أحد ، والله تعالى أعلم .

ـ ثم لا تناقض بين تلك الأحاديث ـ ولله الحمد والمنة ـ ذلك لأن فارس تمثّل العراق ، لأن المدائن تقع شرق العراق ، والروم تمثّل الشام ، فيرجع الأمران إلى الأمر الأول .

ـ ثم إن هذه بشارة من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بفتح تلك البلاد ، وبقائها على الإسلام والسنة ، إن شاء الله تعالى ، وإن مر عليها ما ينغصها .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2] ـ في تعليقه على قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » ـ : وعدَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الناسَ فتحَ فارس والشام ، فأغزى أبو بكر الشامَ على ثقة من فتحها ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ففتح بعضَها ، وتم فتحُها في زمان عمر ، وفتح ـ عمرُ رضي الله تعالى عنه ـ العراقَ وفارسَ ،...

---

(١) سورة الفتح (٤).

(٢) الأم (٤ : ٩٤) ومختصر المزني (٥ : ١٩٥ ـ ١٩٦) ونقله الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في شرح مشكل الآثار (١ : ٤٤٦) نقلاً عن الإمام المزني ، وذكر القاضي عياض والإمام القرطبي وغيرُهما رحمهم الله تعالى مختصراً له ، من غير عزو له . وانظر تعليقي عليه في مختصر أشراط الساعة .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : كانت قريش تنتاب الشامَ انتياباً كثيراً ، مع معايشها منه ، وتأتي العراق . قال : فلما دخلت في الإسلام ذكرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خوفَها من انقطاع معايشها بالتجارة من الشام والعراق ، إذا فارقت الكفرَ ودخلت في الإسلام ، مع خلاف ملك الشام والعراق لأهل الإسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ».

قال الشافعي رحمه الله تعالى : فلم يكن بأرض العراق كسرى بعده ؛ ثبت له أمرٌ بعده . [يعني : لن يعود حكم كسرى إلى العراق ثانية].

وقال : « ... وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده . [يعني : لن يعود حكم الروم إلى بلاد الشام ثانية].

وأجابهم عليه الصلاة والسلام على نحو ما قالوا له . وكان كما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقطع الله تعالى الأكاسرة عن العراق وفارس ، وقيصرَ ومن قام بالأمر بعده عن الشام ،...اهـ وانظر تتمته ، وتعليقي عليه (مختصر أشراط الساعة).

الثالث عشر : إعطاؤه صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الشام وفارس واليمن :

ومن دلائل النبوة التي ظهرت يوم الخندق : إخبارُه صلى الله عليه وآله وسلم بإعطائه مفاتيحَ الشام والعراق واليمن ، وذلك عند ضربه عليه وآله الصلاة والسلام للصخرة يوم حفر الخندق ، وقد أوضحت ذلك كما في الفقرة السابقة . كما أوضحته في (فضائل بلاد الشام).

ففي حديث البراء رضي الله تعالى عنه السابق ، وفيه قول رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيح الشام ، والله ، إني لأبصر قصورَها الحمرَ من مكاني هذا »... ثم قال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيح فارس ، والله ، إني لأبصر المدائنَ ، وأُبصر قصرَها الأبيضَ من مكاني هذا » ... ثم قال : « الله أكبر ، أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن ، والله ، إني لأبصر أبوابَ صنعاء من مكاني هذا ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي ، وحسنه الحافظ . وبنحوه عند من عزوت لهم .

ولا يبعد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ما هو أبعد من رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم للشام والعراق واليمن ،... وقد أوضحت ذلك في (الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة).

أقول : ومما يدل على إعطائه صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح تلك البلاد أمور :

أ ـ لقد أضاف النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الشام واليمن إليه قبل فتحهما ، ودعا لهما بالبركة ، ولو لم يكن يعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنهما ستكونان من بلاد المسلمين ما دعا لهما بالبركة ، وأضافهما إلى نفسه .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : وفي نجدنا؟ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « هناك الزلازل والفتن ». رواه البخاري[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب قول الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ...﴾. وانظر فتح الباري (١٣ : ٤٦).

وهاتان المنطقتان لم يفتحا في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم بعد ، إنما فتحتا في زمن أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله تعالى عنهما ، ومع هذا فقد أضافهما صلى الله عليه وآله وسلم إليه . فقال : « شامنا » وَ « يمننا ».

ب ـ كما أن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حدّد مواقيت تلك البلاد للحج ، ميقات أهل الشام ، وميقات أهل اليمن ، وميقات أهل العراق ، وميقات أهل نجد . وإذا كان بعضُ أهل اليمن وبعضُ أهل نجد قد أسلموا في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن الشام والعراق لم يسلم أهلُهما بعد ، ولم تفتح بعد ، ومع كلّ ذلك فقد حدَّد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مواقيت تلك البلاد ؛ بناء على ما كان الله عز وجل أعطاه مفاتحها ، وذلك قبل فتحها ، وما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم من دخول الإسلام كل بيت ، وتعميم الإسلام الأرض ، والله تعالى أعلم .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : وقَّتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل المدينة ذا الحُلَيفة ، ولأهل الشام الجُحفة ، ولأهل نجد قرنَ المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ،... متفق عليه[1].

ورَوياه[2] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما .

وعن أبي الزبير رحمه الله تعالى قال : سمعت جابر بنَ عبد الله رضي الله

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب مُهَل أهل مكة للحج والعمرة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب مواقيت الحج والعمرة ، رقم (١١ ـ ١٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب ميقات أهل المدينة ولا يهلون قبل ذي الحليفة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٣ ـ ١٧).

تعالى عنهما يُسأل عن المُهَلِّ فقال : سمعتُ (أحسبه رفع إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : « مُهَلُّ أهل المدينة من ذي الحُلَيفة ، والطريق الآخر الجُحفة ، ومُهَلُ أهل العراق من ذات عِرق ،... » ثم ذكر نحوه . رواه مسلم[1].

الرابع عشر : إخباره صلى الله عليه وآله وسلم أن عمّاراً رضي الله تعالى عنه تقتله الفئة الباغية :

ومن الدلائل التي ظهرت يومَ الخندق أيضاً : إخبارُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن عمّاراً رضي الله تعالى عنه تقتله الفئة الباغية ، وقد تكرّر هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد قال هذا القول عند بناء المسجد الشريف ، يوم كان عمّار رضي الله تعالى عنه يحمل لَبِنَتَين ، واحدةً عنه ، والأخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : أخبرني من هو خيرٌ مني [أبو قتادة] أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمّار ـ حين جعل يحفر الخندق ، وجعل يمسحُ رأسَه ويقول ـ : « بُؤسَ ابنِ سُمَيَّةَ ، تقتلك فئة باغية ». رواه مسلم[2].

وهذا أمرٌ غيبيٌّ ، لكنه تحقّق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحو من ثلاثين سنة ، وذلك في معركة صفّين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبره بآخر طعام يأكله ، فكان كما قال .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦ ـ ١٨).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجلُ بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، رقم (٧٠ ـ ٧١).

الخامس عشر : إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بغدر بني قريظة :

ومن الدلائل التي ظهرت يومَ الخندق أيضاً : إخبارُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدر بني قريظة ، ونكث العهد ـ الذي كانوا قد أبرموه معه صلى الله عليه وآله وسلم عندما قدم المدينة في أول الهجرة ـ كما في حديثي جابر بن عبد الله والزبير بن العوّام رضي الله تعالى عنهما ، ويهمني من ذلك بشارتُه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر على بني قريظة ، وقد تحقق ذلك ، كما تحقق غدر بني قريظة .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومَ الأحزاب : « من يأتيني بخبر القوم؟ » فقال الزبير : أنا . ثم قال : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : أنا... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وفي حديث الزبير رضي الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من يأت بني قريظة ، فيأتيني بخبرهم ؟ » الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وذكر أهلُ السير[3] لما رجع السَّعْدان [سعد بنُ معاذ وسعد بن عُبادة]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما ، رقم (٤٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب الزبير بن العوام . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩).

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ٣٠٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٣ : ٤٠٣ ، ٤٢٩ ـ ٤٣٠) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٢٠٠) وسبل الهدى والرشاد (٤ : ٣٧٤)

ومن معهما رضي الله تعالى عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بني قريظة ، وأخبروه الخبر بقولهم ـ حسب الاتفاق ـ : (عضل والقارة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره ».

السادس عشر : استجابة دعائه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر عليهم :

ومن تلك دلائل النبوة التي ظهرت يومَ الخندق : استجابةُ الله سبحانه وتعالى للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم دعاءَه على الأحزاب .

ذلك أن المسلمين صاروا في غاية الحرج والضيق ،... فقد كان العدو محيطاً بهم من كل جوانب المدينة ، فالأحزاب من الشمال والغرب والشمال الشرقي والشمال الغربي ، واليهود من الجنوب الشرقي ، مع البرد الشديد ، والجوع ، وطول مدة الحصار . وقد صوّر القرآن حال المسلمين أدق تصوير .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾(١).

لذا دعا رسولُ الله عليه وآله الصلاة والسلام عليهم ـ بعدما زالت الشمس ـ بالهزيمة والزَّلزلة ، ولم يدعُ صلى الله عليه وآله وسلم عليهم بالهلاك . فاستجاب الله تعالى له دعاءه .

فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومَ الأحزاب على المشركين ، فقال : « اللهم منزلَ

(١) سورة الأحزاب (١٠ ـ ١١).

الكتاب ، [زاد في رواية : مجريَ السحاب] ، سريعَ الحساب ؛ اللهم اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم ». متفق عليه[١]. ولي عودٌ إلى هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، بعد قليل .

وكان دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم والاستجابة له في مسجد الفتح . ومن ثَمَّ صار الدعاء مستجاباً ـ بإذن الله تعالى ـ في هذا المسجد ، وفي ذلك اليوم ، وفي تلك الساعة [يعني : بعد صلاة الظهر ، من يوم الأربعاء] كما أوضح ذلك الصحابي الجليل راوي الحديث رضي الله تعالى عنه ، والذي طبّقه بنفسه ، والله تعالى أعلم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المسجد ـ مسجد الفتح ـ يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيب له بين الصلاتين ، من يوم الأربعاء [فعُرف البشرُ في وجهه].

قال جابر رضي الله تعالى عنه : **ولم ينزل بي أمر مهم غائظ ؛ إلّا توخّيتُ تلك الساعة ، فدعوتُ الله فيه ، بين الصلاتين يوم الأربعاء في تلك الساعة ، إلّا عرفت الإجابة** . رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، وابن سعد والبزار وابن شبة ـ من طرق ـ بإسناد حسن ، رجاله ثقات[٢].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ، رقم (٢١ ، ٢٢).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٣٢) والأدب المفرد (٢٣٨ رقم ٧٠٥) والطبقات الكبرى (٢ : ٧٣) وكشف الأستار (١ : ٢١٦) وتاريخ المدينة (١ : ٥٨ ـ ٦٠) ومجمع الزوائد (٤ : ١٢). وانظر فضائل المدينة المنورة ، لبيان ما وقع في مجمع الزوائد من وهم .

وقد سأل الصحابة رضي الله تعالى عنهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاءً يدعون به ، فقد ضاقت الأحوال ، وبلغت القلوب الحناجر .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله ؛ هل من شيء نقوله ؟ فقد بلغت القلوبُ الحناجر . قال : « نعم ، **اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا** » قال : فضرب الله عز وجل وجوهَ أعدائه بالريح ، فهزمهم الله عز وجل بالريح . رواه أحمد والبزار ، وإسناد البزار متصل ، وصوبه ابن كثير[1]. لكن له شواهد هو بها حسن .

السابع عشر : إرسال ريح الصَّبا لنصرة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

ومن دلائل النبوة التي ظهرت يوم الخندق : أن الله تعالى أرسل ريحَ الصبا ، نصرةً لحبيبه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلعت الخيام ،... وكفأت القدور ، وأطفأت النيران ، وأطارت الحجارة ، وزلزلت النفوس ، وأوقعت الرعب في قلوب المشركين ، مع أنها ريح باردة لينة ، وليس من شأنها الإهلاك ، كما سيأتي بيانه بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : أتت الصَّبا الشِّمالَ ، ليلةَ الأحزاب ، فقالت : مُرِّي حتى ننصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣) وكشف الأستار (٤ : ٣٠) والبداية والنهاية (٤ : ١١) والسيرة النبوية له (٣ : ١١٣ ـ ١١٤) ومجمع الزوائد (١٠ : ١٣٦) وقال : إسناد البزار متصل ، ورجاله ثقات ، وكذلك رجال أحمد ، إلّا أن في نسختي من المسند (عن ربيح ابن أبي سعيد ، عن أبيه) وهو في البزار (عن أبيه ، عن جده) وهو الذي صوّبه ابن كثير .

فقالت الشِّمالُ : إن الحُرَّة لا تَسْرِ بالليل ، وكانت الريح التي نصر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصَّبا . رواه البزار وابن مردويه برجال الصحيح ، وصححه الحافظ[1].

والمراد بالصبا : ريح الصبا ، والمراد بالشِّمال : ريح الدَّبور ، وهي التي أهلك الله عز وجل بها قومَ عاد حتى لم تُبق منهم باقية .

وقد أخبر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى نصره بريح الصبا .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «نُصِرت بالصَّبا ، وأُهلِكت عادٌ بالدَّبور». متفق عليه[2].

لذا ضرب الله سبحانه وتعالى العدوّ بالريح وهزمهم بها . كما مر قبل قليل من حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ، كما عند أحمد والبزار . ولي عود بعد قليل إن شاء الله تعالى على هذا الموضوع .

لقد كان لهذه الريح ـ والله تعالى أعلم ـ مهمّتان :

* ظاهرة : وهي قلعُ الخيام ، وكفء القدور ، وإطفاء النيران ، وبرد الأجساد ،...إلخ.

* باطنة : وهي زلزلة النفوس ، وإلقاء الرعب في القلوب ،... لذا تحقّق الهدف من إرسالها فكان النصر بإذن الله تعالى .

---

(١) كشف الأستار (٢ : ٣٣٦) ومختصر زوائد البزار (٢ : ٣٧ـ٣٨) ومجمع الزوائد (٦ : ١٣٩) وفتح الباري (٧ : ٤٠٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب قول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم : « نُصرتُ بالصبا ». وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب في ريح الصبا والدبور ، رقم (١٧).

الثامن عشر : نزول الملائكة نصرة له صلى الله عليه وآله وسلم :

من دلائل النبوة التي ظهرت يوم الخندق : نزول الملائكة الكرام نصرة لنبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين معه ، لكنها لم تقاتل معه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما حصل يوم بدر مثلاً ، ومن قتال جبريل وميكائيل عليهما السلام عنه صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحدٍ . إنما كان نزولها عوناً وتأييداً وتقوية ، وإن كانوا لم يروها بخلاف ما حصل يوم بدر .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[1] .

إن الآية الكريمة تتحدّث عن نعمتين أكرم الله تعالى بهما نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم : نعمة الريح ـ التي مر ذكرها ، وسيأتي الحديث عنها بعد قليل إن شاء الله تعالى ـ ونعمة نزول الملائكة الكرام الذين لا يراهم الناس ـ إلا ما سيأتي من رؤية حُذيفة رضي الله تعالى عنه لهم .

لذا طلب الله تعالى من رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومن المؤمنين من بعده أن يذكروا تلك النعمة التي أكرمهم الله تعالى بها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴾ لذا ما فتئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها دائماً ، خاصة في حال سفره ، وعودته ، كلما صعد نشزاً أو هبط وادياً ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وقد كان للملائكة الكرام ما كان للريح ـ بل أكثر ـ من زلزلة النفوس ،

---

(١) سورة الأحزاب (٩).

وقلع الخيام ،... وإقلاع الحجارة ، وتطايرها في مخيم الأحزاب ، وإظهار الأصوات المرعبة الشديدة ، مما أوقع في نفوس المشركين من الهلع والخوف ، حتى النصر ، مع استمرارهم في مطاردة الكفار حتى أبعدوهم عن المدينة ، كما سيأتي في حديث حُذيفة رضي الله تعالى عنه .

التاسع عشر : رحمته صلى الله عليه وآله وسلم بالأحزاب المقاتلين له :

ومن الدلائل التي ظهرت يوم الخندق : رحمة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالأحزاب يوم الخندق ، مع أنهم كفّار مقاتلون ، أعداء ،... يريدون قتلَه صلى الله عليه وآله وسلم ، والقضاء عليه ، وقَتْلَ أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ، والقضاءَ على الإسلام ، ومع هذا فقد ظهرت رحمته صلى الله عليه وآله وسلم بهم في أمور كثيرة ، منها :

١ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين بالهزيمة والزَّلزلة ، ولم يدْعُ عليهم بالهلاك والفناء ، كما مر في حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه ، بخلاف ما حصل من عدد من الرسل عليهم السلام ، من الدعاء على أممهم وأعدائهم ، وقد توسّعتُ في بيان ذلك في غير هذه الرسالة[1].

٢ـ نَصْرُه صلى الله عليه وآله وسلم بالصَّبا ، ولم يُنصَر بالدَّبور ، مع أن الصَّبا ليس من شأنها الإهلاك ، ولو أراد الله تعالى إهلاكهم لسلَّط عليهم ريحَ الدَّبور ، فهي أشد من الصبا ، ومن شأنها الإهلاك ، ولذلك أُهلكت عاد بالدّبور .

---

(١) انظر : الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، ورحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار ، وغيرهما .

قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾(1).

وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(2).

علماً بأن الذي أُخرج من الدَّبور للقضاء على قوم عاد ـ ما جاء في روايات متعددة ـ : هو بمقدار الخاتَم ـ أي لم يفتح من بابها الذي تهب منه إلا بمقدار الخاتم ـ كما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى(3) ـ ومع ذلك أهلكتهم ، ولم تُبقِ منهم أحداً ، كما قال تعالى : ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ فلو أراد الله تعالى إهلاكَ الأحزاب لسلّطها عليهم .

أما الصَّبا ؛ فمن طبيعتها اللِّين مع البرودة ، ولكن ليس من طبيعتها الإهلاك . ومع كل هذا فقد زلزلتهم ، وقلعت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم ، وأكفأت قدورهم ، إضافة لما أوقعت في قلوبهم من البرد والزلزلة والخوف والهلع ، ثم كانت الهزيمة .

٣ـ عدم قتال الملائكة في تلك الغزوة ، لأنهم لو باشروا القتال لظهر ذلك في عدد القتلى ، ونوعية القتل . إنما كان نزولهم تقويةً للمسلمين ، وشدّاً لأزرهم ، وتثبيتاً لهم ، وتأييداً لهم ،... وزلزلةً للمشركين ، وإيقاعَ الرعب

---

(١) سورة الحاقة (٦ ـ ٨).

(٢) سورة الأحقاف (٢٤ ـ ٢٥).

(٣) فتح الباري (٦ : ٣٧٧).

والخوف والهلع في قلوبهم ، وطردهم عن المدينة ، وهروبهم إلى بلادهم ، استجابةً لدعوة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٤ ـ لما علم الله تعالى رأفة نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقومه ؛ رجاء أن يسلموا سلَّط عليهم الصبا ، فكانت سببَ رحيلهم عن المسلمين ، لما أصابهم من الشدة ، ومع ذلك لم تهلك منهم أحداً ، ولم تستأصلهم.اهـ من الفتح[1].

لذا أقول : لا تناسب بين الرحمة للعالمين ، الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، وبين الدعاء بالإهلاك ، لذا ناسب أن يدعو صلى الله عليه وآله وسلم عليهم بالزلزلة والهزيمة ، والنصر عليهم ، ليتم مراد الله سبحانه وتعالى بعد قليل .

*** ما هو السر في كون النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع على المشركين بالهلاك ، مع أنهم كانوا حريصين جِدَّ الحرص على قتله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ومحو دينهم ـ الإسلام ، الذي هو دين الله تعالى ـ؟**

الذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ عدة أمور ، يهمني منها :

أ ـ حصول المودة بين المؤمنين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين زعماء قريش ، بعد انتهاء المعركة بفترة قصيرة .

قال الله تعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. والرجاء من الله تعالى ومن رسوله الكريم صلى الله عليه

(١) فتح الباري (٢ : ٥٢١).

(٢) سورة الممتحنة (٧).

وآله وسلم دالٌّ على التحقّق والوقوع ، كما هو معلوم .

ـ فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السيدة أم حبيبة رضي الله تعالى عنها بنت أبي سفيان قائد الأحزاب ـ بعد هذه الغزوة بقليل ، لذا قال أبو سفيان ـ بعد سماعه الخبر عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ : هو الفحل ، لا يُقدع أنفه .

ـ كما تزوج صلى الله عليه وآله وسلم بعدها بقليل السيدة أم سلمة رضي الله تعالى عنها ـ سيدة بني مخزوم .

ـ ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدها السيدة زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ، ومعلوم ما يكون بالمصاهرة عند العرب من المودة[1].

ب ـ إسلام جميع من حضر غزوة الأحزاب من الكفَّار ـ خاصة الكبار منهم ـ بعد حين ، إلا من مات منهم ، بعد تتبعي لعامة من حضر في هذه الغزوة من الكفار ، ومن هنا تجلَّت رحمة الله عز وجل برحمة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ؛ التي شملت الجميع . كما قال الله تعالى عن نبيِّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]. والأحزاب جميعاً من جملة العالمين ، كما هو معلوم ، وقد أوضحته في غير هذه الرسالة .

---

(١) انظر : دلائل النبوة (٣ : ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥) السيرة لابن كثير (٣ : ٢٧٣ ـ ٢٧٧) وتفسير القرطبي (١٨ : ٥٨).

(٢) سورة الأنبياء (١٠٧).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى(١): من لطيف المناسبة كون القبول [الصَّبا] نَصرت أهلَ القبول [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه رضي الله تعالى عنهم] وكون الدَّبور أَهلكت أهلَ الإدبار [قوم عاد] وأن الدبورَ أشدُّ من الصبا ،... أنها لم يخرج منها إلا قدْرٌ يسيرٌ ، ومع ذلك استأصلتهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ .اهـ.

ج ـ إن المتتبع لمعاملة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم للكفار يلحظ أنه شملتهم رحمته ـ كما أوضحت ذلك في (الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم) وَ (رحمة النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار) فهو لم يدعُ عليهم بالهلاك أبداً ، إنما يدعو لهم بالهداية .

ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم في جميع غزواته كان يدعو على الكفار والمشركين بالهزيمة ، لا بالهلاك . ففي غزوة بدر قال : « شاهت الوجوه » وفي غزوة حنين قال : « انهزموا ورب الكعبة » ،... كل ذلك لتظهر الرحمة المهداة من الله تعالى في خلقه .

لذا لو قيس عدد القتلى من الكفار في جميع غزواته صلى الله عليه وآله وسلم (٢٧) السبع والعشرين : لما تجاوزوا الثلاثمائة إلّا قليلاً ، بينما معركة واحدة ليوشع عليه السلام يوم فتح أريحا كان عدد القتلى (٤٠٠٠٠) ألفاً ، وانظر الكتابين المذكورين ، والله تعالى أعلم .

العشرون : ما حصل لحذيفة رضي الله تعالى عنه ، وما أخبره صلى الله عليه وآله وسلم به :

ومن الدلائل التي حصلت ليلة الخندق ـ ليلة السبت ـ التي هبت فيها

(١) فتح الباري (٢ : ٥٢١).

الريح الباردة الشديدة ، مع زيادة هبوبها وشدَّتها بالنسبة للكفار ، حتى صار المنافقون يستأذنون النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، فيأذن لكل من استأذنه منهم ، لما علم صلى الله عليه وآله وسلم بنصر الله تعالى له. وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه ـ الذي عُرف فيما بعد بكاتم السِّر ـ أن يأتيه بخبر القوم ـ أي كفار قريش ومن معهم ـ وذلك :

أ ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلم : « أنه كائن في القوم خبر ، فأتني بخبر القوم ».

ب ـ دعاء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم له بالحفظ ، إضافة إلى زوال الخوف والبرد : « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحت قدميه ». أي من جميع جهاته الست .

ج ـ زوال كل برد وخوف وفزع من قلبه . (فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قُرّاً في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد منه شيئاً).

د ـ صار يمشي كأنه في حمّام . يقول : فخرجت وكأني أمشي في الحمام .

هـ ـ عودة البرد والقُرّ إليه رضي الله تعالى عنه بعد عودته من مهمته .

و ـ رؤيته للملائكة معتمين ، وأمروه أن يبشِّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر .

ز ـ إخباره رضي الله تعالى عنه أن الريح الشديدة لا تجاوز معسكر المشركين . بعكس حالها عند المسلمين .

هذه أمور حصلت لحذيفة رضي الله تعالى عنه ، وأذكر رواية مسلم ، ثم أزيد عليها من الزوائد ـ من غيرها ـ بعدها ، ثم أذكر بعدها وصفَه لحال الريح وشدتها بالنسبة للكفار .

عن يزيد بن شريك التيمي رحمه الله تعالى قال : كنا عند حذيفة رضي الله تعالى عنه ، فقال رجل : لو أدركتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلتُ معه وأبليتُ . فقال حذيفة : أنت كنتَ تفعل ذلك ؟

لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلةَ الأحزاب ، وأخذتنا ريحٌ شديدةٌ وقُرٌّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم ، جعله الله معي يومَ القيامة؟ » فسكتنا ، فلم يجبه منا أحدٌ . ثم قال : « ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم ، جعله الله معي يوم القيامة ؟ » فسكتنا ، فلم يجبه منا أحدٌ . ثم قال : « ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم ، جعله الله معي يومَ القيامة ؟ » فلم يجبه منا أحدٌ .

فقال : « قم يا حذيفة ، فأتنا بخبر القوم » فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم . قال : « اذهب فأتني بخبر القوم ، ولا تَذْعَرْهم عَليَّ ».

فلما وليتُ من عنده ؛ **جعلتُ كأنما أمشي في حمّام** ، حتى أتيتُهم ، فرأيت أبا سفيان يَصْلِي ظهرَه بالنار ، فوضعتُ سهماً في كبد القوس ، فأردتُ أن أرميه ، فذكرتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ولا تَذْعَرْهم عَليَّ » ولو رميتُه لأصبتُه .

فرجعتُ وأنا أمشي في مثل الحمّام ، فلما أتيتُه ، فأخبرتُه بخبر القوم ، وفرغتُ : قُرِرْتُ ، فألبسني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فضل

عباءة كانت عليه يُصلّي فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحتُ ، فلما أصبحتُ قال : « قم يا نومان ». رواه مسلم[1].

وفي رواية : فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « يا ابن اليمان ، قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب ، فانظر إلى حالهم » قلت : يا رسول الله ؛ والذي بعثك بالحق ، ما قمت إليك إلّا حياء منك ، من البرد . قال : « **انطلق يا ابنَ اليمان ، فلا بأس عليك من بَردٍ ولا حَرٍّ ، حتى ترجع إِلَيّ** » ... الحديث بطوله ، رواه البزار والبيهقي برجال ثقات ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[2].

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ، ونحن صافّون قعود ، أبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظةُ اليهود أسفلُ منا ؛ نخافهم على ذرارينا . وما أتت علينا ليلةٌ قط أشد ظلمة ، ولا أشد ريحاً ، في أصوات ريحُها أمثالُ الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدُ منا إصبعَه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقولون : إن بيوتنا عورةٌ ، وما هي بعورة ، فما استأذنه أحدٌ منهم إلّا أذن له ، فيأذن لهم ، فيتسلّلون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك .

إذ استقبلَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً رجلاً ، حتى مَرَّ عليَّ ، وما عليَّ جُنَّةٌ من العدوِّ ولا من البرد إلّا مِرطٌ لامرأتي ما يجاوز ركبتَي

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة الأحزاب ، رقم (٩٩).

(٢) المستدرك (٣ : ٣١) والبحر الزخار (٧ : ٣٤٦-٣٤٧) وكشف الأستار (٢ : ٣٣٥ - ٣٣٦) ودلائل النبوة (٣ : ٤٥٠ - ٤٥١) ومجمع الزوائد (٦ : ١٣٦).

قال: فأتاني ، وأنا جاثٍ على ركبتي . فقال : « من هذا ؟ » فقلت : حذيفةُ . فقال : « حذيفة ؟ » قال : فتقاصرتُ للأرض ، فقلتُ : بلى يا رسول الله ، كراهية أن أقوم . فقال : « قم » فقمتُ .

فقال : « إنه كائن في القوم خبرٌ ، فأتني بخبر القوم » قال : وأنا من أشد الناس فَزَعاً ، وأشدِّهم قُرّاً . قال : فخرجتُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته » .

قال : فوالله ما خلق الله فَزعاً ولا قُرّاً في جوفي إلّا خرج من جوفي ، فما أجد منه شيئاً .

قال : فلما وليتُ قال : « يا حذيفةُ ؛ لا تُحدثَنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني » .

قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجلٌ أدهمُ ضخمٌ ، يقول بيديه على النار ، ويمسح خاصرته ، ويقول : الرحيل ، الرحيل ،...

وإذا الريح في عسكرهم ، ما تجاوز عسكرَهم شبراً ، والله إني لأسمع صوتَ الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضرب بها .

ثم إني خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما انتصف الطريق ـ أو نحو من ذلك ـ إذا أنا بنحو من عشرين فارساً ـ أو نحو ذلك ـ مُعتَمّين ، فقالوا : أخبر صاحبَك أن الله قد كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو مشتمل في شملة يُصلّي ، **فوالله ما عدا أن رجعتُ : راجعني القُرُّ ، وجعلتُ أُقَرقِف .**

فأومأ إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وهو يصلي ، فدنوت منه ، فأسبل عليَّ شملته ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزبه أمرٌ صلّى ـ فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أني تركتهم يرحلون .

قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ ﴾[1].الآيات ، رواه الحاكم والبيهقي[2].

الحادي والعشرون : الله تعالى هو الذي هزم الأحزاب :

ومما يدخل في الدلائل التي أجراها الله تعالى يوم الخندق : ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم : أنه تعالى هو الذي هزم الأحزابَ من غير قتال ، ولا نزال ، فلم يَحْتَجْ المسلمون لقتالهم ، ولم تقع بينهم حرب ، إلّا ما كان من مناوشاة عن بُعد ، كما لم يقع لقاء بينهم ، إلّا ما كان من النفر الأربعة أو الخمسة الذين عبروا الخندق ، فقُتل منهم من قُتل ، وفرَّ الباقون ، بعد قتل عليٍّ رضي الله تعالى عنه لعَمْرو بن عبد وُد العامري .

ويوضِّح ذلك قوله تعالى ـ في آخر الآيات التي نزلت في هذه الغزوة ـ : ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾[3].وفي هذا النص الكريم أمور ، يهمني ما يلي :

ـ فيه إشارة إلى أنهم لم يحتاجوا إلى منازلة الأحزاب ، ومبارزتهم ، لأن

---

(١) سورة الأحزاب (٩).

(٢) البداية والنهاية (٤ : ١١٤) ودلائل النبوة (٣ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣) وفتح الباري (٧ : ٤٠١) وانظر دلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٦٤٠ ـ ٦٤٢) وانظر تتمة الروايات في دلائل النبوة للبيهقي ، وتاريخ الطبري (٢ : ٥٧٩ـ٥٨١) والسيرة النبوية لابن حبان ، وغيرها .

(٣) سورة الأحزاب (٢٥).

الله عز وجل هو الذي صرفهم بحوله وقوته ، وذلك بالريح التي أرسلها عليهم ، والملائكة وغيرها التي بعثها جل شأنه عليهم ، فكانت الهزيمة على المشركين ، والنصر للمسلمين .

ـ كما فيه إشارة إلى وضع الحرب بين المسلمين وبين قريش ، وهذا ما حصل فعلاً ، فلم ترجع قريشٌ إلى غزو المسلمين ثانية ، بل صار المسلمون يغزون قريشاً ، حتى كان الفتح ، ولله الحمد والمنة والفضل .

الثاني والعشرون : وعد الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

ومن الدلائل التي أجراها الله عز وجل على يدَي رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : أنه جل شأنه أخبر رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بكل تفاصيل ما يجري ؛ قبل وصول الأحزاب ، وأنه عز وجل وعد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم النصر والتوفيق ، فأخبر به أصحابَه الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، فلما رأوا ما أُخبروا به ما كان منهم إلّا التصديق والتسليم ، بخلاف ما حصل من المنافقين ، حيث كذّبوا ذلك ، لذا فضح الله تعالى المنافقين ـ في مقولتهم ـ وأثنى عز وجل على المؤمنين بتصديقهم لما وعد الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الله عز وجل ـ في وصف المنافقين ـ: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾(1) .

ويقول جل شأنه في وصف المؤمنين : ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾(2) .

---

(1) سورة الأحزاب (12).

(2) سورة الأحزاب (22).

ويلاحظ أنه لا يوجد في القرآن الكريم آيةٌ تشرح لهم ما سيحصل من الأحزاب ، وما هي نتيجة الغزوة ، وأن هذه الآيات نزلت بعد حصول هذه الغزوة ، دلالة على أن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم إنما هو من الوحي ، لذا كان تصديقهم وتسليمهم ، رضي الله تعالى عنهم .

ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرر فضلَ الله تعالى عليه وعلى هذه الأمة في تصديقه لوعده الذي وعده به .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قفل من غزوٍ أو حجٍّ أو عُمرةٍ : يكبِّرُ على كلِّ شرف من الأرض ثلاثَ تكبيرات ، ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربِّنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ». متفق عليه[1]. وله روايات أخرى .

لذا انفضح المنافقون ، وازداد المؤمنون إيماناً وثباتاً وتصديقاً ، والفضل لله تعالى .

الثالث والعشرون : إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بانقلاب الميزان :

ومن جملة الدلائل التي ظهرت في هذه الغزوة : إخبار النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بانقلاب الميزان ، فالمسلمون هم الذين يغزون قريشاً بعد تلك الوقعة ، وليس العكس .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العمرة : باب ما يقول من رجع من الحج أو العمرة أو الغزو . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره ، رقم (٤٢٨).

فعن سليمان بن صُرَد رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول ـ حين أُجليَ الأحزاب عنه ـ : « الآن نغزوهم ، ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » . رواه البخاري(١) .

وقد ورد نحوه عن غيره من الصحابة أيضاً .

وقد تحقّق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قد غزاهم هو والمؤمنون مرتين ، الأولى : التي كانت نتيجتها صلح الحُدَيْبِيَة . والثانية : غزوة الفتح التي كانت نتيجتها فتح مكة .

فما مضت سَنَةٌ حتى توجَّه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم إليهم ، وكان صلح الحُدَيْبِيَة .

وهذا ما فهمه سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه .

فعن السيِّدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن سعداً رضي الله تعالى عنه قال ـ وقد تحجَّر كَلْمُه للبرء ـ : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذَّبوا رسولَك صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجوه . اللهم فإني أظن أنك قد وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيءٌ فأبقني له ، حتى أجاهدَهم فيك ، وإن كنتَ وضعتَ الحربَ فافجرها ، واجعل موتي فيها ، فانفجرت من لبته ،... فمات منها رضي الله تعالى عنه . الحديث ، متفق عليه(٢) .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب جواز قتال من نقض العهد ،... رقم (٦٧) .

وقد كان رضي الله تعالى عنه دعا ألّا يميته الله تعالى حتى يُقر عينَه من بني قريظة ، ويهلكم الله تعالى ، لغدرهم المتكرر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : رُمي يوم الأحزاب سعدُ بن معاذٍ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنار ،... فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تُخرِج نفسي حتى تُقِرَّ عيني من بني قريظة ، فاستمسك عِرقُه ، فما قطر منه قطرة ، حتى نزلوا على حكم سعد ،... الحديث ، رواه أحمد والدارمي والنسائي والطحاوي ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، في آخرين[1].

فأقرّ الله سبحانه وتعالى عينه ، وحكم فيهم بحكم الله تعالى ، كما سيأتي في الفقرة التالية .

الرابع والعشرون : مطابقة ما حكم به سعد رضي الله تعالى عنه لحكم الله تعالى ، وهو مطابق لما هو في التوراة :

بعد انتهاء غزوة الخندق ؛ بانسحاب الأحزاب عن المدينة : أمر جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتوجه إلى بني قريظة ، وأنه سابقُه ومزلزلٌ بهم .

وبعد حصاره صلى الله عليه وآله وسلم لهم ؛ نزلوا على حكم سعد بن

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٥٠) وسنن الدارمي (رقم ٢٥١٢) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء في النزول على الحكم ، رقم (١٥٨٢) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب السير (٥ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وشرح مشكل الآثار (٩ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨) وصحيح ابن حبان (١١ : ٦٢٧) والمستدرك (٤ : ٤١٧) وفتح الباري (٧ : ٤١٤).

معاذ رضي الله تعالى عنه ، لأنهم كانوا حلفاءَه في الجاهلية ، وظنّوا أنه يخفِّف الحكمَ عليهم .

فحكم فيهم سعد رضي الله تعالى عنه بما يستحقّونه ـ نتيجة غدرهم وخيانتهم المتكررة ـ فأقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حكمه ، وأخبره صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا هو حكم الله تعالى .

ومن الطريف أن هذا الحكم هو حكم التوراة في مثل حالهم لكن بأشد

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : نزل أهلُ قريظة على حكم سعد بن معاذٍ ، فأرسل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى سعد ، فأَتى على حمارٍ ، فلما دنا من المسجد[1] قال للأنصار : « قوموا إلى سيدكم ـ أو خيركم ـ » فقال : « هؤلاء نزلوا على حكمك ».

فقال : تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذراريهم . قال : « قضيتَ بحكم الله ـ وربما قال ـ : بحكم الملِك ». متفق عليه[2].

وقد ورد عن عدد من الصحابة ، وبألفاظ متقاربة .

أقول : ومن المفارقة العجيبة أن هذا الحكم الذي نطق به سعد رضي الله تعالى عنه : موجودٌ بعينه في التوراة[3] ـ لكن مع زيادة أقسى ـ حيث يأمر

(١) هو المسجد الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أثناء الحصار ، ويعرف بمسجد قريظة ، وقد هدم قبل فترة قصيرة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : الباب السابق . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٤).

(٣) جاء في سفر التثنية ، من العهد القديم ، الإصحاح الثالث عشر ، ما لفظه : إن سمعتَ عن =

= إحدى مدنك ـ التي يعطيك الربُّ إلهُك لتسكن فيها ـ قولاً ، قد خرج أناسٌ بنو لئيم من وسطك وطوَّحوا سكان مدينتهم قائلين : نذهب ونعبد آلهةً أخرى لم تعرفوها ، وفحصْتَ وفتَّشتَ وسألتَ جيِّداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عُمل ذلك الرجسُ في وسطك ، **فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف ، وتحرِّمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع كلَّ أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكلّ أمتعتها كاملةً للرب إلهك ، فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعد** ، ولا يلتصق بيدك شيء من المحرَّم لكي يرجع الرب من حموِّ غضبه ويعطيك رحمة .

وجاء في سفر التثنية ، من العهد القديم ، الإصحاح العشرين ، ما لفظه : حين تقرب من مدينة لكي تحاربها ؛ استدعها إلى الصلح ، **فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكلُّ الشَّعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويُستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الربُّ إلهُك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكلُّ ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهُك ، هكذا تفعل بكل المدن البعيدة منك جدّاً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الربُّ إلهُك نصيباً فلا تَسْتَبْقِ منها نسمةً ما ، بل تحرّمها تحريماً** ؛ الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الربُّ إلهُك ،...إلخ.

ففي هذين النصين ما يلي :

١ ـ استعباد [استرقاق] الشعب الذي ينزلون على حكمه من غير قتال ، ويفتحون البلد له سلماً .

٢ ـ قتل جميع الرجال بالسيف ، إذا رفضوا فتح البلد سلماً ، وفتحها عنوة .

٣ ـ استرقاق جميع النساء والأطفال والأموال ، فيكون الجميع غنيمة له .

٤ ـ البلاد التي تخالفه في الفكر والعقيدة ، يَقتل رجالَهم ونساءَهم وأطفالَهم ، ويجمع جميعَ الأموال في وسط البلد ويحرقها . وهكذا يفعل في جميع المدن إذا حاصرها أو فتحها .

هذه هي عقيدة اليهود ومن شايعهم ، لذا كان حكم سعد رضي الله تعالى عنه مطابقاً لما =

الربُّ موسى عليه السلام بأن تُقتل المُقاتِلة وتُسبى النساء والذريّة ، وتؤخذ الأموال .

أقول : ولما كان النصر هو بمشيئة الله تعالى وإرادته ، وليس للبشر فيه مدخل ، كما دلَّ على ذلك قولُه تعالى : ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ لذا صار رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر فضل الله تعالى ، وأنه جل شأنه هو الذي نصر عبده ، وهو الذي هزم الأحزاب وحده . كما صار صلى الله عليه وآله وسلم يكرِّر ذلك في كل مناسبة ، معترفاً بفضل الله عز وجل ، ومذكِّراً الأمة بذلك الفضل ، تحقيقاً لأمر الله تعالى بذكر هذه النعمة ، كما مر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[1]. لذا صار صلى الله عليه وآله وسلم يقوله في كل سفر ، وعند كل نشز وانحدار .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله

= هو موجود في شريعتهم ،...

ثم لينظر إلى الفارق الكبير بين هذه النظرة ، وبين معاملة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم للأسرى وللشعوب والقبائل التي يريد غزوها ، حيث يدعوها إلى الإسلام أولاً ، فإن أسلمت كان حكمُها حكمَ المسلمين ، وإن أبت فالجزية ، ولا يسمح للصحابة رضي الله تعالى عنهم باستباحة جميع الخلق ، كما هي نظرة اليهود الموجودة في النص الذي ذكرته .

وانظر الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلم ، ورحمة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار ، فقد ذكرت النص فيهما ـ كما جاء في الإصحاحين ، وذكرت التعليق عليه .

(١) سورة الأحزاب (٩).

وسلم كان يقول : « لا إله إلّا الله وحده ، أعز جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده ». متفق عليه(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قفل من غزوٍ أو حجّ أو عمرة : يكبِّر على كلِّ شرف من الأرض ثلاثَ تكبيرات ، ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربِّنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ». متفق عليه(٢). وله روايات أخرى .

هذه بعض الدلائل التي ذكرتُها وقد ظهرت في غزوة الخندق ، ولعل الباحث المدقق يعثر على غير ما ذكرت .

*** دروس وعبر من دلائل النبوة في غزوة الخندق :**

هناك دروس كثيرة ، وعِبَر مستفيضة تؤخذ من حصول تلك الدلائل التي أجراها الله سبحانه وتعالى على يدَي رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق ، ورآها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وعاشوها فعليّاً ، أقتصر على ذكر بعضها حسب هذا المختصر ، لأنه لا يمكن استيعابها هنا ، ومنها :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق . وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب التعوذ من شر ما عمل ،... رقم (٧٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العمرة : باب ما يقول من رجع من الحج أو العمرة أو الغزو . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره ، رقم (٤٢٨).

* ما هذه الثقة بالله تعالى وفضله ! لقد بلغت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبلغاً رفيعاً لا يدانيه فيها مخلوق البتة . فهو يخبر عن أمور ، ويطلب أموراً ، ويدعو على أمور ـ لا قدرة للإنسان على تحقيقها ـ فلولا ثقتُه المتناهيةُ بالله تعالى ، وأنه تعالى يحقق له ما يريد ، وعوَّده الإجابة : لا يمكن أن يكون ذلك .

ولقد برزت هذه الثقة في هذه الغزوة بصور متعددة .

كما أن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم بلغ ذلك عندهم حدَّ القطع الذي لا يتزلزل أبداً ، ولا يقاربه شك ، وأن ما يقوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو اليقين القطعي الضروري عندهم . وإلّا :

ـ كيف يخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم بمقدم الأحزاب ، ولعله أخفى مصير تلك الغزوة ابتداءً ، ومع هذا يكون جوابُهم التصديقَ التام ـ الذي لا يعرف التردد ـ والتسليمَ المطلق ، وازديادَ الإيمان ، حتى أثنى الله عز وجل عليهم بذلك كله ، حيث قال : ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ .

ـ كيف يدعو صلى الله عليه وآله وسلم أهلَ الخندق جميعاً ـ وهم ألف رجل ـ على شاةٍ صغيرة (عناق) وصاع شعير . يدعو ألفَ رجل على هذه الوليمة التي لا تكفي إلا العدد القليل ، وأَكَلَ الجميعُ ، وبقي اللحمُ كما هو ، والعجينُ كما هو .

ـ كيف يدعو صلى الله عليه وآله وسلم أهل الخندق على قليلٍ من تمر ، يضعه في كفيه فلا يملؤهما ، ويكفي القومَ جميعاً ، وبقي التمر يتدحرج على أطراف الثوب .

ـ كيف يفزع الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إليه صلى الله عليه وآله وسلم عندما اعترضتهم تلك الصخرات ، وهل يزيد على ما عندهم من قوة ؟ نعم ، لولا يقينهم اللامتناهي في أن الله عز وجل لن يخيب رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه يعطيه ما يريد ما فزعوا إليه .

ـ كيف يخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم برؤيته لقصور الشام وفارس [العراق] واليمن ، وبإعطائه مفاتيح تلك البلاد ، لذا غزوها بعد ذلك وهم في غاية اليقين أن الله تعالى سيفتحها لهم لوعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإعطائه مفاتيحها .

ـ كيف يخبر صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة رضي الله تعالى عنه بما هو كائن في القوم ، وأنه لا بأس عليه ، وأن الله تعالى سيُذهب عنه البردَ ـ القر ـ والخوفَ ، وأنه تعالى يحميه حتى يعود ، وكل ذلك كان ، حيث ذهب ـ وكأنه يمشي في حمّام من الدفء ـ وعاد سالماً معافى ، وذهب عنه البردُ والقر والخوفُ ،... فلولا ثقته المتناهية بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصعب المغامرة ، ولكنها الثقة المتناهية المبنيّة على ما عوَّدهم الله عز وجل بتحقيق مطالب نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد عبّرت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن ذلك بقولها : « ما أرى ربك إلّا يسارع في هواك »[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب قول الله تعالى : ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ . وكتاب النكاح : باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب هبتها نوبتها لضرتها ، رقم (٤٩ ، ٥٠).

فلولا ثقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله تعالى يعطيه ما يريد، وتعوّد الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك، لصعب الأمر، لكن أقول إنما هو الوحي الخفي الذي لا نعلمه، ولم نطّلع عليه، والله تعالى أعلم.

* لقد دلّت هذه الدلائل من طرْفٍ خفِيٍّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو بأعين الله تعالى وحفظه وعنايته ورعايته وكنفه، فهو يكلؤه ويرعاه ويحميه، ولا يَدَعُ ذلك للخلق ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(١). لذا عصمه تعالى من الناس وحفظه ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٢).

* جرت حكمة الله تعالى أن ينصر رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، خاصة وأن الله تعالى جعله خاتم أنبيائه عليهم السلام، وجعل دينه الإسلام خاتمة الأديان، كما اقتضت حكمته عز وجل نصر عباده المؤمنين، وإنقاذ أوليائه المتقين، وأنه كلما ضاقت الأمور، واتسع الخطب، ...واشتد: جاء النصر والفرج من الله عز وجل ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

* لقد اقتضت حكمة الله تعالى الدفاع عن المؤمنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٥). وهل يوجد في الأرض منذ

(١) سورة الطور (٤٨).

(٢) سورة المائدة (٦٧).

(٣) سورة يونس (١٠٣).

(٤) سورة الأنبياء (٨٨).

(٥) سورة الحج (٣٨).

خلق الله عز وجل الخلقَ أفضلُ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام ؟ فإذا كان الله سبحانه وتعالى تكفّل بالدفاع عن المؤمنين ، فمَن أولى بهذا الدفاع منهم . والدفاعُ له مظاهر متعددة ، ابتداء من زوال الخوف والرعب من قلوبهم مروراً بإشباعهم ،... حتى القضاء على عدوهم

* لقد حصل للمسلمين في هذه الغزوة من الضيق والشدّة مالا تحتمله الجبال ، وقد صوّر الله عز وجل حالَهم بأدق تعبير ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[1].

ثم جاء الفرجُ الرّبّانيُّ من عند الله تعالى ، من غير قتال ، ولا حرب من المسلمين . فهَرَب الكفارُ ، وولّوا الأدبار ، وتركوا أرضَ المعركة ، يجرون أذيال الخزي والعار ، عندما جاءتهم جنود لا قِبَل لهم ولا لغيرهم بها ، يرون آثارها ، ولا يعرفون أشكالها ، ريح شديدة ، وملائكة شداد غلاظ ،... كل ذلك حتى يعلم المسلمون أن النصر بيد الله تعالى ، فقد ينصر عباده من غير إرادة منهم .

فكما حما تعالى رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في غار ثور ، بأضعف خلقه من الطير والحشرات ـ الحمامة والعنكبوت ، كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد حسنه ابن كثير وابن حجر رحمهما

---

(١) سورة الأحزاب (١٠ ـ ١١).

الله تعالى[1]. فإنه تعالى نصر رسولَه وحبيبَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين في الخندق بالريح والجنود التي لا تُرى . كل ذلك ليَعلم المسلمُ أن المتصرِّف في الكون هو الله تعالى وحده ، وليس السلاح والقوة .

ولا يعني ذلك عدمَ الاستعداد وأخذَ الأهبة والعدة والتدريب ، وإلّا كيف دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغار ، وكيف خندق حول المدينة ، وأخذ الأهبة في كل أموره صلى الله عليه وآله وسلم ، مع علمه صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله سبحانه وتعالى ما أرسله إلّا ليتم به نعمته على خلقه ، وظهور دينه .

* إن إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّاراً رضي الله تعالى عنه بأنه تقتله فئة مسلمة ـ لكنها باغية ـ حتى تواتر عنه ، ولن يُقتل في قتال الكفار ، وهذا أمر غيبيٌّ محض ، لا قدرة للإنسان على اختراقه ، مما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر من سجف الغيب ، ليخبر الحاضرين بأمور المستقبل ـ القريب والبعيد ـ مما يدل على أن ما ينطق صلى الله عليه وآله وسلم به هو من وحي الله تعالى أوحاه به إليه فنطق به .

(١) مسند أحمد (١ : ٣٤٨) والمعجم الكبير (١١ : ٤٠٧) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٣٨٩) وتاريخ بغداد (١٣ : ١٩١ ـ ١٩٢) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٧) وتاريخ الطبري (٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧٤) والسيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٢٣٩) وفتح الباري (٧ : ٢٣٦) وانظر : الطبقات الكبرى (١ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ومسند أبي بكر الصديق (١١٧ ـ ١١٨ رقم ٧٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٢٥٧ ـ ٢٦٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٤٦٨ ـ ٤٦٩) وانظر فيه ما قبله . وانظر : سيرة ابن هشام . وانظر واجب الأمة نحو نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم (٢٠٩) لبيان الروايات الأخرى .

* إن مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الغزوة ـ وفي غيرها ـ تجعل العقول مشدوهة ، وتجعل المرء يشدُّ أذنَه خضوعاً وإجلالاً لتلك العظمة . كان صلى الله عليه وآله وسلم وهو في أحلك الظروف ، وأصعب المواقف ، وأشدِّها على النفس (العدو من الأمام ، وعن اليمين والشمال ، ومن الداخل ، والبرد الشديد ، والخوف على الذُّرِّيَّة) ومع هذا كان صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً على ربه تعالى ، في ثبات والتجاء ، رابط الجأش ، أصلب من الجبال الراسيات ، لا تزعزعه العواصف ، ثم هو يمنّي أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم بالنصر والتأييد ، وفتح البلاد النائية : (الشام ، واليمن ، والعراق) معتمداً على فضل الله تعالى ووعده ، وكل ذلك قد تحقّق بإذن الله تعالى ، كأنه صلى الله عليه وآله وسلم ينظر بمنظار آخر ، لا يعرفه بقية البشر ، يرى ما سيكون في المستقبل من امتداد للإسلام ونصر وتأييد وفتوحات ، لذا كان صلى الله عليه وآله وسلم غيرَ آبهٍ بما فعله ويفعله المشركون ، وإن كان متأثِّراً عليهم ، مما زاد الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ثباتاً ، وإقداماً ، ورسوخاً ، بالإضافة إلى زيادة الإيمان ، وحسن اليقين بالله تعالى وبرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

* إن إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابَه الكرام رضي الله تعالى عنهم بفتح الشام والعراق واليمن ، وإعطائه مفاتيحها ،... ـ وهذا أمر غيبي ، يعني باللزوم : الانتصارَ على العدو ـ وهم الأحزاب ـ وبقاءَ هذه العصبة المؤمنة الصالحة ، ونصرَ المؤمنين ، وقوتَهم ، حتى يتمكّنوا من فتح تلك البلاد ، وكل ذلك كان .

* هذه الدلائل التي ظهرت يوم الخندق ورآها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، والآيات التي عايشوها عياناً في تلك الغزوة : لا شك أنها جعلت في نفوسهم من الثبات واليقين ، وازدياد الإيمان الشيء الكثير ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1]. فكيف وقد رأوا تلك الآيات عياناً ، ولمسوها فعلاً ، وعايشوها عملاً .

* إن هذه الدلائل كم أثمرت في نفوس الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، من عزم وتصميم ، وتسليم ، وثبات ،... بخلاف ما حصل مع المنافقين ، الذين اكتَشف كثيرٌ منهم زيفَ موقفهم ، وبطلانَ معتقدهم ، عندما رأوا ما تحقق لما كان قد قاله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما فعله ، وما حلت على المسلمين من البركة التي شملتهم .

* هذه الغزوة : هي غزوة التمحيص والابتلاء والامتحان ، وهذه سنة الله تعالى في خلقه ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]. كل ذلك من أجل أن يَميزَ الله عز وجل الخبيث من الطيب ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[3]. فخرج المسلمون الصادقون أشد إيماناً وثباتاً ، وتصديقاً بوعد الله تعالى بنصره لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم . بينما

(١) سورة الأنفال (٢).

(٢) سورة العنكبوت (١ ـ ٣).

(٣) سورة الأنفال (٣٧).

انكشف المنافقون والبطّالون ، فرجع منهم ـ من أراد الله تعالى هدايته ـ إلى الحق ، وتاب ورجع ، وحسن إسلامه ، وثبت يقينه ، وهلك من هلك ـ ممن أراد الله تعالى غوايته .

* وهناك دروس كثيرة تؤخذ من هذه الغزوة ومن تلك الدلائل التي أجراها الله تعالى على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، ليس هذا مجال ذكرها الآن .

أسأله تعالى التوفيق والسداد ، وأن يرزقنا كمال الطاعة وحسن الاتباع ، والتمسك بهذا الدين ، وأن ينصر المسلمين كما نصر حبيبَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من غير حول البشر وقوتهم

وصلى الله وسلّم على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الكرام المبجلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين .

٧ / من ذي القعدة / ١٤٢٧ هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلّا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة



مصادر البحث

ـ القرآن الكريم .

ـ إتحاف الخيرة المهرة ، للإمام البوصيري . ت عبد الرحمن السعد والسيد محمود ، مكتبة الرشد .

ـ الأحاديث الطوال ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، بغداد .

ـ أخبار مكة ، للفاكهي . ت د. عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .

ـ الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، ت كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت .

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير . دار الفكر ، بيروت .

ـ الأم ، للإمام الشافعي ، دار الشعب ، مصر .

ـ إمتاع الأسماع ، للمقريزي ، ت الأستاذ محمود محمد شاكر ، ط الشؤون الدينية ، قطر .

ـ البحر الزخار = مسند البزار . ت د. محفوظ زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم .

ـ البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، نشر دار المعارف ، بيروت ، ومكتبة النصر بالرياض .

ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي . الخانجي ، مصر .

ـ تاريخ الخميس ، للدياربكري ، مؤسسة شعبان ، بيروت .
ـ تاريخ الطبري ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ تاريخ المدينة ، لابن شبة . ت د. فهيم شلتوت ، نشر السيد حبيب محمود ، المدينة المنورة .
ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المزي . ت عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمة .
ـ تفسير القرطبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
ـ جمع الجوامع ، للإمام السبكي .
ـ جوامع السيرة ، لابن حزم . ت د. إحسان عباس ، د ناصر الأسد ، نشر دار إحياء السنة ، باكستان .
ـ حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ، المنسوب لابن الديبع . ت الشيخ عبد الله الأنصاري ، بقطر . وصوابه للعلامة محمد بن عمر بحرق .
ـ الدرر في اختصار المغازي والسير ، للحافظ ابن عبد البر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ دلائل النبوة ، للبيهقي . ت د. عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ دلائل النبوة ، للتيمي . ت محمود الحداد ، الرياض .
ـ دلائل النبوة لأبي نعيم . ت د. رواس القلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .
ـ سبل الهدى والرشاد ، للإمام الصالحي . ت عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية .

ـ سنن أبي داود . ت . محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار إحياء السنة النبوية .
ـ سنن الترمذي . ت . الشيخ أحمد شاكر وآخرين . المكتبة الإسلامية ، بيروت .
ـ سنن الدارمي . ت السيد عبد الله هاشم يماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن ابن ماجه . ت محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
ـ السنن الكبرى للإمام البيهقي ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ السنن الكبرى للنسائي . ت د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ سيرة ابن هشام . بشرح الروض الأنف . توزيع الباز ، بمكة المكرمة .
ـ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، لابن حبان . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ السيرة النبوية ، لابن كثير . ت مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة بيروت .
ـ شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي . ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، لابن كثير . نشر دار القبلة .
ـ صحيح البخاري . بشرح فتح الباري . ط السلفية بالقاهرة ، ونسخة اسطنبول .
ـ صحيح ابن حبان . ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ صحيح مسلم . ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد . ت د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

- علامات النبوة ، للإمام البوصيري ، وهو جزء من إتحاف الخيرة . مكتبة السوادي .
- عيون الأثر في معرفة المغازي والشمائل والسير ، لابن سيد الناس . دار المعرفة ، بيروت .
- فتح الباري ، للحافظ ابن حجر . المطبعة السلفية ، القاهرة .
- فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم مُلّا خاطر . دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
- الكتاب المقدس (عند اليهود والنصارى) العهد القديم .
- كشف الأستار بزوائد البزار ، للحافظ الهيثمي . ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت .
- كنز العمال ، للعلامة علي المتقي الهندي . مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .
- مجمع الزوائد ، للحافظ الهيثمي . دار الكتاب ، بيروت .
- المختارة ، للضياء المقدسي . ت د. عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، بمكة المكرمة .
- مختصر أشراط الساعة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القلبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
- مختصر الإمام المزني ، بحاشية الأم . دار الشعب ، مصر .
- مختصر زوائد البزار ، للحافظ ابن حجر . ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
- مختصر المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .

ـ مسند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ مسند أحمد . المكتب الإسلامي ، ودار صادر ، بيروت .
ـ مسند عبد بن حُميد = المنتخب . ت السيد صبحي السامرائي .
ـ مسند أبي يعلى . ت الأستاذ حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق .
ـ مصنف ابن أبي شيبة . الدار السلفية ، الهند .
ـ مصنف عبد الرزاق . ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط بيروت.
ـ المعجزة القرآنية . د. حسن هيتو ، مؤسسة الرسالة .
ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني . ت الشيخ حمدي السلفي . بغداد .
ـ المغازي النبوية للزهري . ت د. سهيل زكار ، نشر دار اليمامة ، الرياض .
ـ المغازي ، للواقدي . ت مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت .
ـ واجب الأمة نحو نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم ، خليل إبراهيم ملا خاطر . دار القبلة ، جدة .

☆☆☆☆☆

فهرس البحث

☆☆☆☆☆

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة الحادية عشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . الطبعة الثانية ، وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الرابعة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . الطبعة الثانية .

١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).

٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثالثة . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).

٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . طبعة ثانية .

٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).

٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ ، نشر دار القبلة .

٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).

٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ والمدينة المنورة) ، نشر دار القبلة . طبعة ثالثة .

٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

٢٨ ـ رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، نشر دار القبلة .

٢٩ ـ واجب الأمة نحو نبيّ الرحمة ﷺ ، نشر دار القبلة .

٣٠ـ مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب (تحت الطبع).

٣١ـ دلائل النبوة في غزوة الخندق (بين يديك).

٣٢ـ مكانة الصحابة، وأثرهم في حفظ السنة، وواجب الأمة نحوهم (تحت الطبع).

٣٣ـ بنات رسول الله ﷺ أربع، لا كما زعم الشانئ الحقود (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

٣٤ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).

٣٥ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية.

٣٦ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض.

٣٧ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي. طبعة ثانية، دار القبلة.

٣٨ـ مناقب الإمام الشافعي، لابن الأثير، وهو من كتابه الشافي، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

٣٩ـ الشافي في شرح مسند الشافعي، لابن الأثير (تحقيق، تحت الطبع).

٤٠ـ ثلاثيات الإمام الشافعي، نشر دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن.

٤١ـ السنن للإمام الشافعي، نشر دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن.

٤٢، ٤٣ـ المسند للإمام الشافعي، ومعه شافي العي، للحافظ السيوطي (تحقيق).

٤٤ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى.

٤٥ـ مناقب الإمام الشافعي، للحافظ ابن كثير، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض.

٤٦ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).

٤٧ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٨ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .

٤٩ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٥٠ ـ شرح أربعين حديثاً مما في الصحيحين (تحت الطبع).

٥١ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٥٢ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق ، نشر دار القبلة .

٥٣ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٥٤ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة (تحت الطبع).

٥٥ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٦ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥٧ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة . طبعة ثانية .

٥٨ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٩ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث، وطبع منه :**

٦٠ ـ الحديث المتواتر .

٦١ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٦٢ ـ الحديث المعلل، طبعة ثانية، نشرتها كلها دار الوفاء، بجدة .

٦٣ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، شرح وتعليق، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٦٤ ـ الإسناد من الدين، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٦٥ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٦ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

٦٧ ـ خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع، نشر دار القبلة، جدة .

٦٨ ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين (تحت الطبع).

٦٩ ـ الإمام البخاري والرواية عن أئمة آل البيت (تحت الطبع)

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٧٠ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٧١ ـ مشروعية صيام ست من شوال، نشر دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن .

٧٢ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ الحديث الموضوعي :

٧٣ ـ من صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية .

٧٤ ـ الجهاد في ضوء السنة النبوية .

٧٥ ـ تحريم الخمر والمسكرات في ضوء السنة النبوية .

٧٦ ـ تنبيه الذات بهادم اللذات (الموت والقبر في ضوء السنة النبوية).

٧٧ ـ علاج الإسلام لمشكلة البطالة في ضوء السنة النبوية .

٧٨ ـ صلة الأرحام في ضوء السنة النبوية .

٧٩ ـ الرفق بالحيوان في ضوء السنة النبوية .

ز ـ بين الإنسان والجماد :

٨٠ ـ الإدراك عند الجمادات .

٨١ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٨٢ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٨٣ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ح ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٨٤ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٨٥ ـ حقوق الزوجين .

٨٦ ـ المرأة في القرآن .

٨٧ ـ الإحسان في القرآن .

٨٨ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٨٩ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٩٠ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٩١ ـ خمس محاضرات في مناهج المفسرين (تحت الطبع).

٩٢ ـ عناية الإسلام بالبيئة .

٩٣ ـ بناء الأسرة الكريمة .

ط ـ الفتن وأشراط الساعة :

٩٤ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة (تحت الطبع).

٩٥ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٩٦ ـ أشراط الساعة . (تحت الطبع).

٩٧ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٩٨ ـ أخبار الدجال .

٩٩ ـ الردة قديمها وحديثها .

١٠٠ ـ الردة قديمها وحديثها (المحاضرة).

١٠١ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

١٠٢ ـ الترابي والمفاهيم الخاطئة (تحت الطبع).

☆☆☆☆☆